المجلد الحادي عشر — الجزء ٩ و ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

ايلول — تشرين الاول

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي
الدفع مقدماً
في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها
« ٣٠٠ « الخامسة الى العاشرة « «
في الخارج ٦٠٠ « الاولى الى الرابعة « «
« ٣٥٠ « الخامسة الى العاشرة « «

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن زيدون

—*—

هو الكاتب الشاعر الأديب ذو الوزارتين ابوالوليد احمد بن عبدالله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي .

وبنو مخزوم الذين يمتُّ اليهم بالنسب بطن من قريش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد الفاتح العظيم . جلا أجداده الى الاندلس مع من جلا اليها من عرب المشرق ، ولم تعرف بالضبط سابقتهم فيها هم وسلالتهم ، غير انه اشتهر من أعقابهم ثلاثة تسمَّوا بابن زيدون : المترجَم ، وابوه ، وابنه . ويظهر ان بيتهم نشأ في قرطبة مقر الخلافة الأموية في المغرب . وكان اول المعروفين منهم ابوالمترجَم ، ذكروا انه كان فقيهاً متأدباً وجيهاً عند اهل عصره مثنىً عليه بالجميل ، وكان يكني بابي بكر ، توفي بمدينة البيرة سنة خمس واربعمائة ، ونقلت جنازته الى قرطبة ، فدفن بها ، ورثاه بعضهم بقوله :

أيُّ ركن من الرياسة هيضا ... وجموم من المكارم غيضا
حملوه من بلدة نحو أخرى ... ليوافوا به ثراه الأريضا
مثل ماء السحاب ماءً صبيباً ... ليداوي به مكاناً مريضا

وللمترجَم ابن يكني ابا بكر بن زيدون ، تولى وزارة المعتمد بن عباد بعد ابيه ، وقتل يوم اخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد لما استولى على مملكته سنة اربع وثمانين واربعمائة .

الحالة السياسية والاجتماعية والادبية في عصر ابن زيدون — نشأ ابن زيدون في عصر انفرط فيه نظامُ حكم العرب بالاندلس ، وتقوَّضت فيه اركان الدولة الأموية ، وذهبت ريح من زاحمهم من بني حمود من سلائل العلوية الادريسية ، وتفرقت رجالات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الدولة العظيمة طوائف وشيعاً ينضوي كل منهم الى كنف رئيس من قضاة الدولة او قوادها او ولاة نواحيها ، ينشيء بهم دويلة لعلها لا تزيد على مدينة وأرباضها ، واذا أتيح لمملكة من ممالك هذه الطوائف بسطة سلطان واتساع رقعة شملت عمالة قديمة او عمالتين ، ولكنها لا تقوى الا على مصاولة جاراتها والكيد لها ، واغراء العدو من ملوك الاسبان بها بل مناصرته عليها ، فاستطار شرر هؤلاء الملوك الاسبان ، وتدخلوا في شؤون هذه الدويلات بالقوة والسياسة ، وانتهى الامر باكثر هذه الدويلات ان استحذوا أمام هذا العدو القاهر ، ودفعوا له الجزية عن يد وهم صاغرون ، وهم على ذلك الذل يتنافسون في الالقاب وشارات الملك ، وتشييد القصور والمصانع وتنسيق المنازه والملاعب ، واقتناء الجواري والقيان واجتلاب فاره الدواب والغلمان ، وسهل عليهم تأسيس ممالكهم وتأثيل نعمتهم تلك المغانم العظيمة والثروة الجزيلة التي أفعمت بها البلاد فتوح المنصور ابن ابي عامر قبيل ذلك العهد ، فتسمى كل زعيم منهم بامير المؤمنين وتلقب بالرشيد والمأمون والمتوكل والناصر والمنصور والمعتضد والمعتمد كما يقول في ذلك ابن شرف القيرواني .

مما يزهدني في ارض اندلس اسماء معتضد فيها ومعتمد
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد

واتخذ له بطانة من خيرة الادباء والكتاب والشعراء والمؤلفين ، يحرص جد الحرص على الا يكون عند غيره من ملوك الطوائف مثلها ، بحيث اذا اشتهر من بين رجال هذه الدويلات نابه في قيادة حرب او تدبير ملك او نجاح في شعر او كتابة او تأليف ، خطب كل منهم وده ، فنفق ذلك سوق العلم والادب من جهة ، ووأد من جهة أخرى في نفوس وزرائهم وأعوانهم دالة عليهم طرفت الى الشك حيف إخلاصهم ، وؤامرة أعدائهم عليهم فعاجلوهم بالنكبات ، وباغتوهم بالحبس والمصادرات ، وربما افلت بعضهم ، فألقى بنفسه حيف أحضان مملكة مجاورة يؤلبها على دولته الاولى ، ويبدي لها وجوه ضعفها ، وما استتر من عوارها ، فتطمع في الاستيلاء عليها او انتقاصها من أطرافها ، فاما ان تفوز بإربتها ، واما ان تكون باحثة عن حتفها بظلفها . كل هذا والعدو من الاسبان يقتطع منهم بلداً بعد بلد ومملكة بعد مملكة ، وهم لاهون غارون في بذخهم وصلفهم وتحاسدهم وتطاحنهم ، فلم يفيقوا حتى ضيق عليهم خناقهم من الشرق والغرب والشمال ، وحتى تهددهم بالاجلاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن ارض الاندلس جملة ، ففزعوا الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك البربر من المرابطين يستصرخونه على عدوهم ، وينشدونه بلسان حالهم :

فان كنت مأكولاً فكن خيراً كل والا فأدركني ، ولما أُمزّقِ

فجاءهم ابن تاشفين بجيوش البربر الجرارة فدحر الاسبان في موقعة الزلاقة الشهيرة ، وردهم الى أسوار طليطلة ، ورجع الى بلاده ، فرجع ملوك الطوائف الى ما كانوا عليه ، فكر يوسف عليهم وأخرجهم من ديارهم وأدخل ما بقي للمسلمين من ارض الاندلس في سلطانه ، ونقل كبار العلماء والكتاب وكل من يحسن صناعة الى مراكش حاضرة ملكه ، وولى عليها الولاة المسمّين بالسادة من ذوي قرابته . فحمل شأن الاندلس بالتدريج في العلم والادب ، وزالت منه أبهة الملك ، فقلت الرغبة من ولاة البربر في الاستئثار بالعلماء والادباء واستبطان ارباب الإجادة ، فتقاصرت الهمم عن التحصيل والدرس والاعتزاز بالعلم والادب ، بين الذين آثروا الاقامة بالاندلس لضعفهم عن الرحلة اولفضل تراث بقي في ايديهم عن آبائهم ، فربما جاشت نفوس هؤلاء بالشعر فأجادوه تكلفاً او تطرّبا وتلهيّا لا تكسبا وتثميراً كابن خفاجة وأضرابه .

ولما كان عهد ملوك الطوائف قصير الأمد كان أوائل رؤسائه وجلة علمائه وأدبائه ممن درجوا من مهد الدولة الأُموية ، وربما أدرك بعضهم عصر تجدد الدولة و بسطة سلطانها على اديم الجزيرة زمن المنصور ابن ابي عامر المعافري حيث العلوم مديدة الرواق ، والآداب وارفة الظلال ، والامن والعافية وخصب العيش وطيدة الدعائم ، فلم يؤثر تفرق الكلمة وتشتت الجماعة بادي بدء في الثقافة العامة ، فوجد كل مؤسس دولة من ملوك الطوائف من يشد أزره ويسد عوزه من أرباب السيف والقلم الذين خدموا الدولة العامرية او بني حمود العلويين وممن تزين بهم ملكه من الشعراء والندمان وارباب الفنون والصناعات الجميلة . فكان للملك منهم عدة وزراء نابهي الشأن في السياسة والعلم والكتابة والشعر . وكان له من المهندسين والبنائين والمزوقين من قاموا بتشييد تلك القصور البديعة ذوات الفرش الوثيرة والبساتين النضيرة التي خلبت لب ابن تاشفين على غرارته وعجهيته ، وجعلته ينفس عليهم عيشهم ، ويستكثر عليهم ملكهم .

لذلك نعتبر عصر ملوك الطوائف من ثمة عصر نهضة اللغة وآدابها في الاندلس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولهذا ايضاً كان كثير من أدباء هذا العصر في عداد رجال الذخيرة لابن بسام والقلائد للفتح بن خاقان على الرغم من فوضى حكامه واختلال نظامه . ولكن لما فني القرن الاولون وخلفهم القرن الآخرون فتّت تلك الفوضى السياسية في عضد الثقافة العامة ، وهاضت من جناح النبوغ في العلم والأدب وتدبير الملك والصناعات الجميلة ، وأخلّت بالرخاء ورغد العيش . فلما اكتسح ابن تاشفين بسيط الجزيرة نقل عتاد ملك الاندلس وثقافته الى بلاده كما نقل ملوكه ولله عاقبة الامور .

ولا حاجة بنا في ترجمة ادبينا ان نسرد كل مملكة من ممالك الطوائف ، ومادخل في حوزتها من البلاد ، وانما نشير بايجاز الى نشأة كل من مملكة آل جهور وآل عباد وعاقبة امرهما لارتباط سيرة مترجمنا بها .

آل جهور بقرطبة — يرجع نسبهم الى بني كلب احدى قبائل قضاعة . دخل ابو عبيدة اولهم الاندلس ، ونسل بها بنيه ، وسكنوا قرطبة ، ووزروا للناصر والمستنصر والمنصور ابن ابي عامر ، وكان منهم الوزير ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور عين أعيان قرطبة ورئيس الجماعة بها زمن الفتنة عند انقراض الخلافة الأموية ، فانه استقدم المعتمد آخر من بويع من بني أمية بالخلافة الى قرطبة ، وبايعه ، وحمل اهلها على بيعته الا ان الجند خلعوه ، ففر الى لاردة سنة ٤٢٠ هـ ثم هلك وانقرض به ملك بني أمية ، فقام جهور بضبط امور قرطبة والحكم بين الناس بها ملازماً بيته متباعداً عن قصر الخلافة ريثما يتفق الناس على إقامة خليفة فلم يتم لهم ذلك ، واستبد هو بامر الملك على زهادة وصلاح الى ان مات ودفن بداره سنة ٤٣٥ هـ وولي ابنه ابو الوليد محمد بن جهور وكان عالماً اديباً قارئاً ثم خلفه ابنه وكان سيء السيرة ، فحاصره ابن ذي النون بقرطبة ونظاهر المعتمد بن عباد بنصرته فأرسل جيشاً الى قرطبة فاستولى عليها ، وداخلوا اهل قرطبة ، فخلعوا ابن جهور وبايعوا المعتمد بن عباد ملك اشبيلية فولى عليها احد ابنائه .

آل عباد باشبيلية — اما آل عباد فأصلهم من لخم من جند حمص الشام دخل اولهم عطاف قرية بشرق اشبيلية ونسل بها بنيه ، وكان اول مستبد منهم بالملك القاضي ابو القاسم محمد بن ذي الوزارتين اسماعيل بن عبّاد ، تولى القضاء باشبيلية واشترك في بيعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القاسم المأمون بن حمود العلوي على اشبيلية ، ثم ثار عليه اهلها ، وولوا القاضي ابن عباد اميراً في صورة القاضي حتى هلك . وتولى بعده ابنه عباد مجاهراً بالملك ، وتلقب بالمعتضد وكان حازماً شديد الدهاء والجبروت ، فاتسع ملكه حتى عم غرب الاندلس ، ومات . وخلفه ابنه محمد المعتمد وامتد ملكه الى قرطبة ، فأخذها من آل جهور وذاع صيته وخدمه كثير من فضلاء الوزراء والادباء . وكانت اشبيلية في عصره مقصد الشعراء وقبلة كل محسن لصناعة ، الى ان نكبه الدهر واستولى على ملكه ابن تاشفين ونقله الى أغمات الى ان مات سنة ٤٨٤ هـ .

نشأة ابن زيدون — عاش ابن زيدون عيشتين : الاولى عيشته في قرطبة ، وهي عيشة تحصيل وكد ، ومزج هزل بجد ، والثانية عيشته بعد الفرار من السجن ، وهي عيشة غلب عليه فيها الجد والوقار والعظة والاعتبار .

حياته في قرطبة — ولد ابن زيدون بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ في ايام الدولة العامرية بعد موت الحاجب المنصور بن ابي عامر بسنة واحدة ، وفي اول عهد ابنه المظفر الذي كانت ايام حكمه كلها أعياداً رخاء عيش وأمان سرب ، وحكم قرطبة يومئذ يمتد باسبانيا من مدينة شنت يعقوب شمالاً الى أقصى بلاد السوس من المغرب الاقصى جنوباً ، واهل قرطبة مغمورون في الثروة التي اغدقها عليهم الناصر والمستنصر والمنصور بن ابي عامر وابنه المظفر مدة قرن من الزمان ، من المغانم الكثيرة والسبايا اللائي امتلأت بهن البلاد وجعل بخس اثمانهن شبان الاندلس يزهدون في زواج الحرائر . ففي ربوع هذه الغبطة وفي ظلال ذينك الأمن والعافية نشأ ابن زيدون في حجر أسرة نبيهة الشأن من رجالات الدولة وأعيان فقهائها . فولد ذلك فيه حب التمتع باللذائذ والطيبات والاغتباط بمشاهد الانس والجمال ، كما ولد فيه كرم نجاره علوّ الهمة وتطلب ذرائع الشرف والرياسة في زمانه وبيئته : مثل وعي اللغة وحكمها وأمثالها ، والإحاطة بعلوم لسانها وحفظ القرآن الكريم ورواية الكثير من الخبر ومأثور النظم والنثر وحوادث التاريخ والقصص والنوادر فتهيأ له من ذلك فوق ذكائه الفطري مادة اكسبته النبوغ في فرض الشعر وإجادة الترسل ولطف المحاضرة ، كما انتهت عادة بامثاله من أدباء الاندلس الى تسنم مرتبة الوزارة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد كاد موت ابيه وهو بعدُ يافع لم يناهز الحادية عشرة من سنّه يكون عائقاً عن استكمال ثقافته وصارفاً له عن معاناة الكد ومضض التحصيل ، شأن كثير ممن حرمهم الزمان رعي عائلهم ، غير ان النشئة اذا كانت وطيدة الاسس نبيلة القصد شب الناشئ على ماعوّده ابوه ، ولم يعوزه في استتمام سعيه غير مراقبة هيّنة من ذوي قرابته ، وذلك مانظنه مكفولاً في مثل بيت ابن زيدون ، وخاصة اذا اجتمع له في البيئة التي شبّ فيها كل مايرغب من صنوف العلوم والآداب ، وكثيرها عديد الفحول من العلماء والادباء ، لما كانت عليه قرطبة في ذلك العهد وهي يومئذ حاضرة الاندلس في كل شيء من علم وأدب ، وشارة ملك ، وجمال صناعة ، ونعمة عيش .

قضى ابن زيدون في هذه الحال بعد موت ابيه نحو ست عشرة سنة لانعرف بالتفصيل كيف قضاها ، ولكننا نستظهر انه كان في أخرياتها معدوداً من شبان قرطبة البارعين في العلم والادب المشاركين بآرائهم ومساعيهم في شبوب نيران الثورة الكبرى في قرطبة تلك الثورة التي ابتدأت بزعزعة اركان الدولة الأموية ومنازعة دولة بني حمود العلويين لهم في الاختصاص بالملك ، وانتهت بانقراض الدولتين وتقسيم البلاد بين ملوك الطوائف . وقديماً وحديثاً كانت الثورات منبتاً خصباً لعظماء الرجال وارباب المزايا كما قد تكون مورداً لحتوفهم ، ولكلٍ ماقدر له ان سعادةً اوشقاءً فنرى ابن زيدون يظهر في فتنة قرطبة من كبار اهل الرأي والمشايعين لآل جهور في اختصاصهم بامارة قرطبة ، بل سماه الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان « زعيم الفتنة القرطبية ، ونشأة الدولة الجهورية » وآل سعيه وسعي من على شاكلته الى انتخاب الوزير ابي الحزم جهور بن محمد ابن جهور حاكماً على اهل قرطبة ضابطاً لامورها حتى يتفق الناس على اقامة خليفة من الامويين ، ولكنه بدهائه ومظاهرة أمثال ابن زيدون أثّل ملكه وثبّت قدمه في الإمارة وان لم يتّسم بها ، واختصّ من أنصاره بطانةً في هيأة الوزراء والمشيرين ، وعلى رأسهم مترجمنا .

قامت دولة ابي الحزم جهور سالكة طريق الحزم والعدالة ، والتظاهر بالتمسك بآداب الدين ، والرجوع بالناس الى آداب السلف والصالحين : قال ابن خلدون في ذلك « ولم يتحول عن داره الى قصر الخلافة ، وكان على سنن اهل الفضل يعود المرضى ويشهد الجنائز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يؤذن عند مسجدهم بالربض الشرقي ، و يصلي التراويح ولا يحتجب عن الناس » وقال التميمي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب « وكان ابوالحزم هذا يشهد الجنائز و يعود المرضى جارياً على طريقة الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الامور تدبير الملوك المتغلبين ، وكان آمناً وادعاً ، وقرطبة في عصره حرمٌ يأمن فيه كل خائف . واستمراره على ذلك الى ان مات في غرة صفر سنة ٤٣٥ هـ فكانت مدة تدبيره منذ استولى الى ان مات اربع عشرة سنة وأشهراً ثم ولي ما كان يتولى من امر « قرطبة بعده ابنه ابو الوليد محمد بن جهور فجرى في السياسة وحسن التدبير على سنن ابيه غير مخل بشيء من ذلك الى ان مات في سلخ شوال من سنة ٤٤٣ هـ .

فدولة هذا شأنها من ملازمة الجد وايثار الضبط وبث الامن والتصوّن عن مواطن الريب والخلاعة لا تطيق العبث بملكها وفرط الدالة عليهـا حتى من الداعين اليها والحاطبين في حبلها ، اذ سيئاتهم محسوبة من مثالبها . ولم يكتف ابن زيدون وهو بعدُ شاب لم يبلغ الثلاثين باستغلال مسعاه في انشاء هذه الدولة بارتقاء منصب الوزارة والسفارة ، والانابة عن ابن جهور في مهمات الامور ، حتى سوّلت له دالته على مولاه ان يستغله ايضاً في مقارفة اللذات وغشيان مجالس الشراب ومخادنة الحسان ، فوجد اعداؤه في فتاته مغمزاً في رأي جهور ، فأوغروا عليه صدره ، وروّج كيدهم له استهتاره بامرين يستدعيان الحذر .

الاول : انه أعلن التهتك والاستهتار بحب الادبة الطائرة الصيت في ذلك العهد بالادب والجمال وحسن المحاضرة «ولادة» بنت المستكفي الخليفة الأموي ، وكان لها بقرطبة مجلس أدب ومحاضرة يحتشد فيه أدباء قرطبة وشعراؤها وابناء الوزراء السابقين والاعيان المقدمين ، تطارحهم الادب والاخبار ، وتبادههم في الملح والاشعار ، وكلهم معجب باديبها وجمالها جاهد في نيل الحظوة عندها والتقرب منها ، فاستبق الجميع الى قلبهـا ومجليهم اديبنا ابن زيدون ، وهو يومئذ وزير الدولة الجهورية . فيظهر ان جهوراً أوجس خيفةً من حشد يجتمع في بيت من بيوت الخلافة الاموية ان يصير امره الى كيد لدولته وألب على سلطانه ، وخاصة اذا كان أقربهم الى الوقوع في الشرك وزير دولته وأقدرُهم على افساد القلوب عليه . ورأى مزاحموه في حب «ولادة» وحاسدوه على مكانه من وزارة جهور ان الفرصة في ابن زيدون ممكنة فسعوا به اليه ، وجعلوا ظنه يقيناً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصادف ذلك دالة من ابن زيدون عليه لقديم بلائه عنده ، وسعيه في قيام دولته فعاجله بالحبس ، وتغدى بابن زيدون قبل ان يتعشى هو به .

او أن جهوراً انكر من ابن زيدون لهوه وخلاعته وانقطاعه الى مايكون تغاضيه عنه قادحاً في دولته جالباً على سمعته المعرة وسوء القالة ، فحسم الداء قبل استشرائه .

الثاني : ان جهوراً كان يسفره الى ملوك الطوائف ، وزعماء الموالي العامريين من البربر والسودان ، لمتنزين على أملاك الخلافة في كثير من المشكلات السياسية ، فيكلل مسعاه بالنجاح ، ونقع بلاغته في رسائله اليهم من نفوسهم موقعاً ، فحسدوا جهوراً عليه ورغب كل في استمالته اليه ، وشداً زر دولته به ، كراً يذاذلك في كل دولة عظيمة اقتسمت رقعتها ملوك طوائف وزعماء شيع ، فكانت كل دويلة منها تجهد ان تجتذب الى دعوتها فحول الرجال ، وتبذل النفيس في اصطناع العلماء والشعراء والكتاب ، تجعلهم عتاداً لها وزينة لملكها : كالدول التي تألفت من تشتت شمل الدولة العباسية : من الدول البويهية والسامانية والحمدانية والإخشيدية والفواطم ، وكالدول التي انعقدت من انحلال دولة السلجوقيين ، ودولة صلاح الدين الايوبي ، ودولة الموحدين بالمغرب ، وفي كل ذلك نرى العلماء والشعراء وكل ذي مزية يُدل على سلطانه بنفاق سوقه ، ويهدده بالانضواء الى غيره ، وفي حياة المتنبي والبديع والخوارزمي والشريف الرضي وابن نباتة السعدي وابن سينا والفارابي والرازي وابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم شاهد صدق لذلك .

فيظهر ان ابن زيدون كان يدل على مولاه بسابقته عنده ، ومكانه من نفوس ملوك الطوائف كما أشار بل صرح بذلك في كثير من شعره ونثره ، حتى في رسائله التي استشفع بها وان اجتماع كلتا الخصلتين في خادم دولة كاف لإبغار صدر المتفرد بها بمجد الملك والعظمة ، فهو لا يطيق من مؤسس مملكته دالته عليه ، ويغار على سلطته معه من مزاحمته فيها ، فيتعجل نكبته : كما فعل عبد الملك بن مروان بعمرو بن سعيد ، والمنصور العباسي بابي مسلم الخراساني وعبد الرحمن الداخل بمولاه بدر ، وعبيد الله الفاطمي بابي عبد الله الشيعي الداعية ، وغير هؤلاء كثيرون ممن لا يحصون عدداً .

نكب جهور وزيره ابن زيدون وسجنه سجن اعتقال مرفهاً عليه في العيش ومكاتبة الناس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم حرد عليه لسبب ما وجعله في سجن اللصوص والمجرمين . ولعل ذلك كان بسبب الرسائل التي كتب بها الى الناس والى مخدومه يعدد بها أعماله في توطيد امر جهور ويمتن بذلك عليه .

لبث ابن زيدون في السجن بضع سنين ، ولكن كم كانت مدتها ؟ ومتى كان مبدؤها ؟ اما الاول فيجيبنا هو عليه بقوله من قصيدته الطائية البليغة :

سنون من الايام خمس قطعتها اسيراً ران لم يبد شد ولا ربط

واما الثاني فيجيبنا هو ايضاً عليه بقوله من قصيدته الرائية التي كتب بها من السجن الى ابي الحزم جهور :

لم يطو برد شبابي كبرة وأرى برق المشيب اعتلى في عارض الشعر

قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كثب وللشبيبة غصن غير مهتصر

ونحن نعلم ان انقطاع دعوة بني أمية من قرطبة كان سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ، ونعلم ان مولد ابن زيدون كان سنة اربع وتسعين وثلاثمائة ، فإذن كان بدء خدمته في دولة آل جهور وهو في الثامنة والعشرين من عمره .

واذا قدرنا انه بعث بهذه القصيدة في مبدإ اعتقاله كما هو الظاهر اذ قد صرح فيها بانه لم يبلغ الثلاثين كانت مدة خدمته لآل جهور لا تزيد على سنتين ، وكان بدء اعتقاله في نهاية سنة اربع وعشرين واربعمائة ، او اول خمس وعشرين واربعمائة .

لبث ابن زيدون في السجن خمس سنين استعطف فيها ابا الحزم جهوراً واستشفع عنده بابنه ابي الوليد محمد بن جهور ، وكان اليفه وصديقه من قبل ، وبغيره من الرؤساء ووجوه قرطبة ، وبث اليه واليهم شكواه بعدة قصائد أبدعها ، ورسائل استنفد فيها جهده ، ومن ذلك رسالته الجدية الشهيرة ، فما ألانت منه قلباً ولا ثنت له عطفاً .

فأعمل الحيلة في الفرار من سجنه فتم له ذلك ، وتوارى مدة في قرطبة والزهراء حتى سكن غضب جهور عليه بشفاعة ابنه ابي الوليد محمد بن جهور وكثير من الفضلاء ، وأذن له في الظهور ، ولكنه لم يجد له مساغاً من نفوس آل جهور ومن نفسه ان يستعيد عندهم حظوته الاولى ومنصبه القديم ، فرغب في عرض ادبه وكفايته على ملوك الطوائف ، وتنقلت به الاحوال من دولة الى أخرى حتى القى العصا في مملكة آل عباد سنة ٤٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهنا تبتدئ حياته الثانية بعد فراره من السجن وخدمته غير آل جهور . وقبل ان نذكر شيئاً عن حياته الثانية نرى انه من المناسب ذكر شيء من اخباره مع ولادة .

اما ولادة هذه فأميرة أدبية أموية . ومع بعد صيتها جاءنا اسم ابيها مختلفاً فيه فقد كُتب في قلائد العقيان غير مرة انها بنت المهدي من الخلفاء المتخلفين الذين ولوا أزماناً قصيرة زمن الفتنة البربرية . وكذلك كُتب في تاريخ المعجب للتميمي ، و كُتب في نفح الطيب نقلاً عن ابن بشكوال انها بنت المستكفي من اولئك الخلفاء . غير اننا نرجح الأخير ، ونظن ان ذكر المهدي سهو من الفتح اوتحريف من نساخ قلائده وان كان تحريف المستكفي الى المهدي غريب لتباعدهما في الرسم فان الاوصاف التي ذكرها ابن بشكوال وغيره في ابيها تنطبق على المستكفي اكثر من انطباقها على المهدي و يضيق بنا المقام عن ذكر النصوص الدالة على هذا الترجيح .

وفيها يقول ابن بشكوال في الصلة :

« كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر ، وكانت تناضل الشعراء وتساجل الادباء وتفوق البرعاء ، وعمرت طويلاً ولم تتزوج قط ، وماتت لليلتين خلتا من صفر سنة ثمانين واربعمائة ، وقيل اربع وثمانين رحمها الله تعالى . وكان ابوها المستكفي بايعه اهل قرطبة لما خلعوا المستظهر .... وكان خاملاً ساقطاً . وخرجت هي في نهاية من الادب والظرف ، حضور شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر . وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يعشو اهل الادب الى ضوء غرتها ، و يتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة منتابها . تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب ، وطهارة أثواب ، على انها اوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها اه » .

وفيها يقول صاحب المغرب :

« انها بالمغرب كعلية بالمشرق الا ان هذه تزيد بمزية الحسن الفائق . واما الادب والشعر النادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها ، وكان لها صنعة في الغناء . وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها ، فيمرفيه من النادر وانشاد الشعر كثير لما اقتضاه عصرها من مثل ذلك اه » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أحب ابن زيدون هذه الاديبة حباً مفرطاً جر عليه وعليها سوء القالة على عفافها وصيانتها . وكانا يتهاجران ويتهاجيان حتى يبلغ بهما الهجو حد الاقذاع ، ومع ذلك صرح غير مرة في شعره بانها لاتنال ، وان وصالها في منزلة المحال . وفيها يخاطب الوزير ابا عامر ابن عبدوس مزاحمه في حبها في نوبة هجر منها لابن زيدون وصفو لابن عبدوس :

وغرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض
هي لما يعز على قابض ويمنع زبدته من مخض

وابن عبدوس هذا هو الذي كتب اليه ابن زيدون رسالته الشهيرة الهزلية على لسان ولادة جواباً لرسالة بعث بها اليها مع عجوز يستريث وصلها ، ويستعطف قلبها ، وسنصفها بعد .

ونتبع اخبار ولادة وشعرها في الغزل والهجو والتهاجن يخرجنا عما قصدنا اليه . وكل ماينبغي ان نشير اليه هنا هو تأثير حبها في ابن زيدون : شعره وخلقه . اما في شعره فذلك الغزل الرقيق ، لايصدر الا عن حب عميق ، واما في خلقه فقد خلع فيها العذار ، وجانب الوقار ، وعادى الأحرار ، وقامر بمنصبه وجاهه جد قمار ، واستعقب الحبس والاسار . وسنأتي بعد على طرف من غزله فيها وتشوقه اليها .

واذا قدرنا انه فر من السجن سنة تسع وعشرين واربعمائة فعلى اي حال قضى هذه الاثنتي عشرة سنة ، وما الدول التي اتصل بها ؟ هذا السؤال يجيبنا عليه الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان بجواب مجمل ولفظ مبهم فيقول :

« ولم تزل الايام تدنيه وتبعده ، وتسوؤه وتسعده ، وتقذف به الى كل نازح ، وتطرف أمله بعين اللاعب المازح ، حتى أحلته بلنسية وهلال ذهائه كما أقمر ، وغصن نباهته يانع قد أثمر ، وبنو عبدالعزيز غرر ملكها ، ودرر سلكها ، يفيضون بحور الندى ، ويومضون في كل منتدى ، فحل منهم محل الحمى في الكؤوس ، ووقع منهم مواقع البشائر في النفوس . وأقام بين مبرة تواصله ، ومسرة تفازله ، ومكارمة تغاديه . ومجاملة كرائح القطر وغاديه . فلما انفصل ، وحصل فيما حصل ، تذكر بعد برهة ذلك العيش ونور عمره قد صوح ، وغصن سنه قد ذوح . فلم يجد الا له طيبا ، ولم يبصر غير فننه غصناً رطيباً ، فكتب الى ابن عبد العزيز :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

راحت فصبح بهـا السقيم ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو لاً فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك ام بلذ سية لرياهـا نميم
بلـد حبيب أفقـه لفتى يحل به كريم
إيه ابا عبـد الالـ ـه نداء مغلوب العريم
ان عيل صبري من فرا قك فالعذاب به اليم
او اتبعتك حنينهـا نفسي فانت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالسها د سرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فما زما ني في زمانك بالذميم
زمن كمألوف الرضا ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقـد ناظر يّ بذلك المرأى الوسيم
فأرى الفتوة غضـة في ثوب أواه حليم
الله يعلم انـ حبـ ـك من فؤادي في الصميم
ولئن تحمل عنك في جسم فعن قلب مقيم
ثم السلام تبلغنـ ـه بقلب مهديه السليم

وفي ايام مقامه ببلنسية ونشوقه الى بلاده قال :

غريب بارض الشرق يشكر للصبا تحملها منـه السلام الى الغرب
وما ضر انفاس الصبا في احتمالها سلام فتى يهديه جسم الى قلب »

وبنو عبدالعزيز الذين يذكرهم صاحب القلائد هم من أحفاد المنصور بن ابي عامر اقام مواليهم من البربر دولة لهم في شرقي الاندلس وهي المعروفة بدولة العامريين ومواليهم من البربر ، وكان للمنصور عبدالعزيز بن عبدالرحمن الناصر بن المنصور بن ابي عامر منهم دولة عتيدة دامت نحو ٤٠ سنة زمن الثورة وبعدها .

ولم نعلم المدة التي خدمهم فيها ابن زيدون وانما نفهم من سرد هذه النبذة انه غادر بلنسية لا عن موجدة عليه من ملوكها ، وانما هو الشوق الى وطنه غربي الاندلس جره الى ان خدم ملك الغرب المعتضد بن عباد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« حياته الثانية »

خدمته آل عباد - لم يطب لابن زيدون عيش في خدمة العامريين بشرقي الاندلس لبعدها عن وطنه ولأنه رأى ان لا أمل في رجوعه الى قرطبة الا اذا انتزعها منهم ملك يعيش في كنفه من ملوك الطوائف . فلم يصدق ظنه الا على ابن عباد ملك اشبيلية . وكان أشدهم شكيمة وأوسعهم رُقعةَ مُلكٍ . فأخذ يرتاد امور إشبيلية ويتعرف إمكان الرحلة اليها بمكانتها عظمائها وامتداح ملكها . ولما وجد الفرصة موانية رحل اليها . وبالغ المعتضد في الاحتفاء به . فاتخذه وزيراً وسميراً وسفيراً على شدة بطشه وجبريته وفتكه بكل عظيم يرتاب فيه من عظماء دولته حتى ولده الاكبر وولي عهده . فعجب الناس من ابن زيدون كيف اهتدي الى مداراة هذا الجبار واستدامة مودته له . وكيف عجز عن استصلاح حاله مع ابن جهور على صلاحه وعدله . وكأنهم غفلوا عن ان الدهر نعم المؤدب .

ولم يزل عند المعتضد اثيرا لمنزلة . موفور الغبطة . مقبول المشورة في الخير والشر . فأكثر عنده من الكيد لمنافسيه في الدولة والوقيعة بهم ليخلو له وجهه . ويخلص له وده . وفتك المعتضد بتدبير ابن زيدون بكثير من أعيان الدولة . وبقي مخشي الجانب حتى مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد فرعى فيه ثقة ابيه وأخلص له ابن زيدون نيته ونصيحته . ومازال يغريه بملك قرطبة ويراسل أعيانها يستميل جانبهم الى المعتمد حتى نجح سعيه . وساق المعتمد جيشه الى قرطبة . فانتزعها من آل جهور وضمها المعتمد الى مملكته وولى عليها ابنه سراج الدولة اسماعيل ففاجأه ثائر بها يدعى ابن عكاشة فقتله . فكر المعتمد عليها واستعادها .

وعاش ابن زيدون في دولة المعتمد محفوفاً برضاه منظوراً بعين ثقته . وكاد له بقية خصومه ومنافسيه عند المعتمد مراراً فلم يسمع لقولهم وأمعن في تحقيرهم وهجوهم . ويقال ان إلحافهم في الوشاية وقع بآخرة من نفس المعتمد . ولكن منية ابن زيدون عاجلته باشبيلية سنة ٤٦٣ هـ . وخلفه ابنه ابوبكر في وزارته للمعتمد كما ذكرنا من قبل . ومن الغريب ان الصفدي وهو مؤرخ كبير بعد ان ذكر ان وفاته كانت سنة ٤٦٣ هـ وانه دفن باشبيلية ناقلاً ذلك عن شيخه الذهبي العلامة المؤرخ الثقة عاد ونقل خطأً عن ابن بشكوال انه مات سنة ٤٠٥ هـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مدينة البيرة ونقل الى قرطبة ودفن بها ومولده سنة ٣٥٤ هـ . ثم لم يكتف بهذا الخطأ حتى عقب عليه بقوله « قلت ولعل الذي قاله ابن بشكوال الصواب على ان ابن بسام قال في الذخيرة توفي سنة ٤٦٣ وكان يخضب بالسواد » . مع انه لو راجع نفسه قليلاً لوجد انه في سنة ٤٠٥ لم تكن دولة بني أمية ولا دولة بني حمود قد زالتا من الوجود . فكيف كانت توجد دولة بني جهور وزراء العامر بين ودولة بني عباد وزراء الحمود بين وهما الدولتان اللتان خدمهما ابن زيدون . وأغرب من هذا ان بعض من كتب في حياة ابن زيدون من العصر بين جعل هذا خلافاً في موته ومكان دفنه مع انه نفسه نقل في اول ترجمة ابن زيدون ان الذي مات سنة ٤٠٥ بالبيرة ونقل الى قرطبة ودفن فيها هو والد ابن زيدون . والذي جر الى هذا الخلط بين كليهما ان ابن خلكان بعد ان ذكر وفاة ابن زيدون على صحتها قال : « وذكر ابن بشكوال في كتاب الصلة اباه وأثنى عليه وقال : كان يكنى ابابكر وتوفي بالبيرة سنة خمس واربعمائة ونقل الى قرطبة فدفن بها . وكانت ولادته سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وكان يخضب بالسواد » .

فيظهر ان الصفدي صحف فقرأ لفظ (أباه) بالموحدة (اياه) بالمثناة ولم يفطن لوقائع التاريخ وجاراه معاصرنا فنقل هذا الخلاف الموهوم ولله في خلقه شؤون .

اخلاق ابن زيدون — شب ابن زيدون على سعة علمه وغزارة ادبه وكرم محتده مولعاً بالطرب مشغوفاً بمبادرة اللذات ومعاقرة الشراب ومخادنة القيان ومؤانسة الحسان كبير الأثرة بالتفرد من ذلك بكل مرغوب . فجرّ ذلك عليه حب ولادة ومنافسة دهاة الادباء في الاختصاص بها وعرض نفسه للهلاك مراراً من جرائها .

ولكثرة ثقته بنفسه لما يفطن لكيد خصومه عند ابن جهور حتى وقع في شرك نكبته . فخرج من السجن ناقماً على النظراء والمنافسين متحيناً الفرصة لتعجيل النكاية بهم قبل ان يعاجلوه . وكانت نكبة جهور درساً بليغ الاثر في نفسه استفاد منه بقية حياته فعلمته حسن المداراة وتملق الرئيس فنجا من يد ذلك السفاح عباد المعتضد بل جعله سيفاً ماضياً يقطع به أعناق خصومه . وكان ابن زيدون مع نزقه واستهتاره في شبابه وغدره باصحابه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عالي الهمة . لا يقنع من دولة ملك الا باقتراع منصب وزارته . والاخذ بناصية منادمته ومشاورته .

علمه وأدبه وبديهته — نشأ ابن زيدون في عصر اختل فيه نظام ملك بني أمية فجأة بثورة البربر المشؤومة . وقامت هذه الثورة وآثارا لحضارة في كل شيء من علم وادب وفنون ضاربة بجرانها في قرطبة . فكانت غاصة بالعلماء والفقهاء واللغويين والشعراء والمحسنين في كل صناعة ممن نبتوا في عصر المنصور الهنيء . فصادف ابن زيدون من نهل من علمهم وكرع من أدبهم . وكان ابوه وعشيرته من اهل الفقه والادب فلم يكن اقباله على ما اخذ به أهلوه انفسهم بدعاً من نفسه . وانما جرى في مضمارهم فبذهم علماً وادباً . وبعد صيت وعلو همة .

« للبحث صلة »

مصر (القاهرة) : احمد الاسكندري
عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتب الادب القديمة والحديثة

—«×»—

خزانة اللغة العربية مكتظة بكتب الادب القديمة حتى يخيل الى المنقب والباحث انها ليست في نوع من العلوم أغنى منها في هذا النوع لان المتقدمين كتبوا كثيراً في هذا الفن وافننوا فيه افتناناً يدل على جلالة هذا العلم عندهم وشدة اهتمامهم به ورسوخهم فيه .

ولكن أسلوبهم في هذا التراث العظيم الذي خلفوه لاعقابهم بالامس غير مايتطلبه أعقابهم اليوم من حل (تحليل) لنفسية الاديب كاتباً كان ام شاعراً ام خطيباً . ودرس لأسلوبه واستنباط لخصائصه المختلفة من بيئة ووراثة وسجية وتحيص لاغراضه وأخيلته وبيان ماجوّد فيه ومالم يجوّد الى غير ذلك مما أودعه آثاره التي تركها ذخيرة لمن بعده .

ان طالب الأدب على هذا النمط الحديث اذا حاول درس شيء مما تقدم وأراد الرجوع الى كتاب من كتب الأدب القديمة لينقب فيه عن ضالته التي ينشدها اعترضه في طريقه مالم يكن في حسابه من العقبات التي تجعل غايته بعيدة المنال .

فهو اما ان يرى أمامه بحراً يعب عبابه . من سرد الروايات واختلاف طرقها وتعدد وجوهها وتمحيصها فلايكاد يصل الى اقتناص مايحاوله الا بشق الأنفس ناهيك مما يمر به في طريقه من اسهاب فيما لاعلاقة له بالموضوع الذي يبتغيه . وربما نسي مايعنيه اثناء اجتيازه مالا يعنيه .

واما ان يسقط به الجد على كتاب سلك سبيلاً من الايجاز لا يتمكن معه من الإلمام بشيء مما يلتمسه الا كحسوة الطائر .

واما ان يصطدم بعقبات صعبة المرتقى من الكلمات الغريبة والعبائر العويصة بحيث لايقطع واحدة منهن حتى يستقبل اوعر منها سبيلاً واصعب مسلكاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا يعثم بعد قليل من الزمن ان تملك عليه السآمة سبيله اوينيخ عليه الاعياء باعبائه وتضمحل رغبته فيهيم في مجهل لايدري مخارجه من مواجه .

وهو بعد هذا كله اذا ظفر بشيء مما يبتغيه فانما يظفر به شعاعاً في مطاوي الصحائف وتضاعيف السطور كما يجد المحصل قطع الفضة في المعدن ولا يعلم الا الله مايكابده في تنقيتها وتصفيتها ثم جمعها وسبكها ثم افراغها في القالب الذي يود افراغه فيه ثم عرضها بعد ذلك على أذواق تختلف في استحسانها واستهجانها .

وقد كنا نود ان نطيل القول في علل هذه المآخذ ومايؤخذ به ونضيف الى ذلك مانراه من الأدوية الناجعة لها .

لولا اننا رأينا هذه الكتب على علاتها خيراً مما تخرجه لنا قرائح الادباء في هذا العصر وتخطه أقلامهم فان الباحث الممعن في الكتب القديمة يجد من تحقيق في المسائل وتثبت في الرواية والنقل وروية في الحكم وتمحيص في المباحث فالأدلة ووثوق باللغة وصحة في الضبط مالايجد معشاره في خير ماأخرجه العصر الحاضر للناس من كتب هذا الفن .

وان الباحث في الكتب الحديثة ليرى من جمال الوضع ورقة الأسلوب وصفاء الديباجة والقرب مما يتطلبه المتأدب في هذا العصر ، مايصبي القلوب ويخلب الالباب ويروع المسامع ولكنه لا يلبث ان يجد تحت هذا الطلاء المزيف الخلاب . من التهاون بالضبط والتثبت . وقلة العناية بالتمحيص والتحقيق أضعاف ماوجده من روعة التعبير وجمال الأسلوب .

ومن انكر النكر ان ترى كتب المتقدمين يتولى طبعها ونشرها فريق من المتأخرين فيصدرها بمقدمات طافحة بتقريظ نفسه والثناء على مااستنفده من المجهود وكابده من المشاق في تنقيحها وتهذيبها وشرحها وتصحيحها وو الخ . حتى يخيل اليك ان هذا الكتاب براء من كل شائنة وشائبة ثم لاتكاد تقرأ بضعة عشر سطراً حتى تجد من شواهد الإهمال وأدلة التهاون ، والهفوات الفاضحة والخطيئات الواضحة ، مالا يسعك معه تصديق شيء ماشحنت به تلك المقدمات الطويلة ولاالوثوق بشيء من ذلك الكتاب .

واعل القارئ يكبر مانقول او يعده ضرباً من المبالغة والتهويل أونوعاً من التحامل بغير حق ولكننا نورد له مثالين يتبين منهما ان التأليف والطبع اصبحا في هذا العصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحديث ضرباً من الاتجار وان الكتب أصبحت كالسلع يحرص فيها على اكتساب المال اكثر مما يحرص على خدمة العلم .

المثال الاول : كتاب تاريخ الادب العربي للاستاذ الكاتب المجيد الطائر الصيت السيد احمد حسن الزيات فانه والحق يقال أبدع ماخطته انامل كاتب في هذا الفن للمتأدبين في هذا العصر .

فقد يروعك منه جمال أسلوبه وعذوبة ألفاظه وحسن تأنقه ولاتكاد تجد فيه مغمزاً لغامز الا ان الاستاذ مؤلفه على جلالة فضله وغزارة ادبه يخسه حقه من التصحيح والتثبت في اختيار النماذج فجاءت فيه هنات كالبثرة في وجه الحسناء والكلف في صفحة البدر .

المثال الثاني : كتاب زهر الآداب للحصري قام بطبعه ونشره وتنقيحه وتصحيحه وشرحه وو ... الدكتور زكي مبارك . وهذا الكتاب تغني شهرته في عالم الأدب عن الإطناب في التعريف به . وقد جاء بعد الطبع والتنقيح والتصحيح غاصاً بالخطإ المشين مكتظاً بالغلط المزري به . وقلما تمر بالقارئ صفحة لايرى في خلالها خللاً اولوثة تحجل بينه وبين المعنى المراد سداً منيعاً . ورب شرح قلب المعنى من حسن الى قبيح وكان كالجرح المعد في صفحة الوجه الصبيح وستأتي أدلة ذلك وشواهده .

وقد آثرنا البداءة بالكلام في كتاب « تاريخ الادب » السابق ذكره وجعلنا القول فيما رأيناه فيه على نوعين :

الاول في النماذج التي أوردها لشعراء عصر واصحابها من رجال عصر آخر و يندمج في هذا النوع بعض الخطأ التاريخي .

والثاني في بيان ماجاء من الكلم مضبوطاً بشكل مخالف لما عليه أئمة اللغة واعلامها و يندرج فيه بعض الابيات التي نسبها الى شخص وهي لغيره .

النوع الاول وقد رتبنا الكلام فيه على ترتيب العصور في الكتاب ليسهل الرجوع اليه .

« العصر الجاهلي »

١ — قال عند كلامه في الشعر عند العرب انه ديوان علومهم وحكمهم وسجل وقائعهم وسيرهم .. وكانوا كلهم يروونه وجلهم يقرضونه عفو البديهة وفيض الخاطر الخ . وذكر في الذيل ان من الشعراء من كانوا يروون وينقحون فسموهم عبيد الشعر لذلك كزهير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعدي بن الرقاع ثم اورد بيتاً لسويد بن كراع . ومن البين ان سياق القول في الشعر عند العرب الجاهليين بدليل قوله عقب ذلك حتى روى عنهم من الشعر الوجداني في قرن ونصف مالم يرو عن أمة الخ . وعدي بن الرقاع شاعر أموي كان مقدماً عند الوليد بن عبدالملك . وكان ينزل الشام وقد عده ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام . وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء انه من احسن من وصف ظبية وولدها وهو القائل يصفها :

تزجي اغن كأن ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

وترجمته في الاغاني وشواهد المغني للسيوطي . وذكر صاحب الاغاني ان جريراً دخل على الوليد وعنده عدي بن الرقاع الى آخر القصة .

٢ — وذكر في نماذج الشعر الجاهلي من قول المرقش الاكبر :

ان تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا

وقد نسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء الى نهشل بن حري وصدّرها بقوله :

انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء يشرينا

ونسبها في شرح الحماسة الى بشامة بن حزن النهشلي وكذلك المبرد في الكامل وصاحب لسان العرب . وقد عد ابن سلاّم نهشلاً في الطبقة الرابعة من الشعراء الاسلاميين والبيت الاول يشهد انها ليست للمرقش .

٣ — وذكر في نماذج هذا العصر ايضاً ابياتاً وهي :

اطل حمل الشناءة لي وبغضي وعش ما شئت فانظر ما تضير الخ

ونسبها الى عنترة الاخرس من طيء .

وفي الاغاني انها لعبد الله بن الحشرج على الاصح وقد كانت وفاته نحو سنة ٩٠ .

٤ — وذكر في نماذج هذا العصر قصيدة للصمة بن عبد الله بن طفيل مطلعها :

حننت الى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا

والصمة هذا شاعر اسلامي من شعراء العصر الأموي كما ذكر ذلك صاحب الاغاني والبغدادي في الخزانة وصاحب معاهد التنصيص .

٥ — وذكر ابياتاً وهي :

سلي البانة الفيناء بالاجرع الذي به البان هل حييت اطلال دارك الخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يسم قائلها وهي لعبد الله بن الدمينة .

ثم أردفها بقصيدة لابن الدمينة المذكور مطلعها :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجد الخ

وابن الدمينة شاعر اسلامي كما في شرح شواهد المغني للسيوطي وغيره .

٦ — وذكر في نماذج هذا العصر ابياتاً وهي :

هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق الخ

ونسبها الى جعفر بن حلبة الحارثي . والصواب ابن علبة وهذا الشاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كما صرح بذلك صاحب الاغاني والسيوطي وغيرهما .

٧ — وذكر ايضاً في نماذج العصر الجاهلي بيتين للمؤمل المحاربي اولها :

وكم من لئيم ود اني شتمته وان كان شتمي فيه صاب وعلقم

والمؤمل المحاربي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وكانت شهرته في العباسية اكثر لانه كان من الجند كما ذكر ذلك صاحب الاغاني . وقال في نكت الهميان ان المؤمل توفي في حدود التسعين والمائة وهو القائل في مسجد الكوفة يوم توفي المهدي (مات الخليفة ايها الثقلان) فقال جماعة هذا أشعر الناس . ثم قال (فكأني أفطرت في رمضان). فضحك الناس به .

٨ — وذكر في نماذج هذا العصر ابياتاً لشبيب المرّي اولها :

وانى لتراك الضغينة قد بدا تراها من المولى فلا استثيرها الخ

وشبيب هذا شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية كما صرح بذلك صاحب الاغاني . وقد عده ابن سلام الجمحي في الطبقة الثامنة من الشعراء الاسلاميين .

٩ — وذكر في نماذج هذا العصر بيتين عزاهما الى سالم بن وابصة الاسدي اولها :

اذا ما انت من صاحب لك زلة فكن انت محتالاً لزلته عذرا

وسالم هذا من شعراء الدولة الأموية قدم دمشق وسكنها وولي الرقة مدة طويلة . ومات في آخر خلافة هشام كما ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخه .

« العصر الأموي »

١٠ — وذكر في نماذج العصر الأموي أبياتاً لعمرو بن الاطنابة اولها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبت لي همتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح الخ

وعمرو بن الاطنابة جاهلي كما صرح بذلك صاحب الاغاني والسيوطي . وكان ملك الحجاز .

« العصر العباسي »

١١ — وذكر في نماذج العصر العباسي لسان الدين بن الخطيب وقد كانت ولادته سنة ٧١٣ والعصر العباسي ينتهي سنة ٦٥٦ فالصواب ذكره في العصر الذي يليه .

١٢ — وفي صفحة ٢٧٥ ذكر ان ابن بابشاذ توفي سنة ٤٩٩ وقد ذكر ابن خلكان ان وفاته سنة ٤٦٩ .

١٣ — وذكر في ص٣٠٦ ان البخاري خرج الى مكة سنة ٤١٠ في حين انه توفي سنة ٢٥٦ فالصواب انه خرج سنة ٢١٠ .

١٤ — وذكر في ص٣٢٥ ان الفرنج ابتلعوا دويلات الاندلس لقمة سائغة سنة ٨٩٨ه ثم قال بعدها : ودالت دولة الفاطميين والمصريين في مصر والشام فوقعتا في يد الأمويين ثم صارتا الى المماليك وظلتا تحت سلطانهم حتى دخلتا في حكم الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣ . ولعل الأمويين محرفة عن الايوبيين .

وذكر في ص ٢٩٣ ابن مالك النحوي في نحاة العصر العباسي وقد كانت وفاته سنة ٦٧٢ .

وذكر في ص٣٠٤ في الكلام على التاريخ ابا الفداء وابن الطقطقي وابن خلدون وابن العبري . وكلهم ممن توفي بعد انقضاء العصر العباسي فالاول توفي سنة٧٣٦ والثاني سنة ٧٠٢ والثالث سنة (٠٠٠) والرابع سنه٦٨٥ .

النوع الثاني :

١٥ — ذكر في ص ١٨ . عذيرُك مَن خليلُك من مُراد . ضبط كلاً من عذير وخليل بضم الراء واللام ومن بفتح الميم وقد ذكر هذا الشطر صاحب اللسان . وقال بعده : يقال عذيرَك من فلان بالنصب اي هات من يعذرك فعيل بمعني فاعل يقال عذيري من فلان اي من يعذرني ونصبه على اضمار هلم معذرتك اياي .

١٦ — وفي ص٤٣ . قال نشأ زهير بن ابي سلمى بن ربيعة بن رَباح . ضبطها بفتح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الراء والباء الموحدة . والصواب انه بكسر الراء ثم بالياء المثناة التحتية كما ضبطه السيوطي في شرح شواهد المغني والبغدادي في الخزانة والنووي في التهذيب .

١٧ — وفي ص ٤٤ قال : سعى ساعياً غيض بن مرة . والصواب غيظ بن مرة كما في اللسان والاعلم الشنتمري والتبريزي .

١٨ — وفي ص ٧٠ . قال مفصل الآيات مزدوَج الكلمات . ضبط مزدوج بفتح الواو والصواب الكسر لان اسم المفعول لا يبنى من اللازم .

١٩ — وفي ص ٧٤ في الأمثلة التي اوردها من القرآن الكريم . قال وان يُخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده . ضبط يخذلكم بضم الياء والصواب بفتحها .

٢٠ — وفي ص ٧٣ اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم . ورسم تنسون بالتاء المثناة والثاء المثلثة . والصواب وتنسون انفسكم

٢١ — وفي ص ٧٤ . من يعمل سوءاً يجز به ولا يجدُ له من دون الله ولياً ولا نصيرا . ضبط يجد بالضم . والصواب بالجزم .

٢٢ — وفي الصفحة نفسها . ومن اوفى بما عاهد عليه الله . ضبط هاء عليه بالكسر وهاء الله بالضم . والصواب ضم الاولى وفتح الثانية .

٢٣ — وفي ص ٨٥ . قال وقطري بن الفجاءة . ضبط قطري بضم القاف والصواب بفتحها .

٢٤ — وفي ص ٩١ . وهو يعلم ان ضلعها معها . ضبطها بكسر الضاد وفتح اللام . والصواب فتح الضاد وسكون اللام كما في اللسان .

٢٥ — وفي ص ٩٣ . للحارث بن كلدة ضبطها بفتح الكاف وسكون اللام والصواب بفتحهما كما في اللسان وتهذيب الاسماء للنووي . وفي المصباح الكلدة القطعة الغليظة من الارض والجمع كلد مثل قصبة وقصب و بالمفرد سمي . ومنه الحرث بن كلدة الطبيب .

٢٦ — وفي ص ١٠٢ . فذخرت بحور المدح والفخر بالذال والصواب فزخرت بالزاي .

٢٧ — وفي ص ١٠٦ . سبقوا هَوِيّ واعنقوا لهواهم . ضبط هوي بكسر الواو والصواب بفتحها كما في لسان العرب بقلب الالف ياءً مع ياء المتكلم كما هي لغة هذيل . يقولون هوَيّ وعَصَيّ وقَفَيّ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٨ — وفي الصفحة نفسها ·

فالعين بعدهم كانت حداقها كحلت بشوك فهي عَوْرا تدمع

ورواية البيت : سملت بشوك فهي عُورٌ تدمع · قال في اللسان فاما قول ابي ذؤيب فالعين الخ · فعلى انه جعل كل جزء من الحدقة اعور او كل قطعة منهـا عوراء · وهذه ضرورة وانما آثر ابوذؤيب هذا لانه لو قال (فهي عورا) لقصر الممدود · فرأى ما عمله اسهل عليه وأخف · وابو ذؤيب قائل هذا الشعر مخضرم ·

٢٩ — وفي ص ١٠٧ · وقال الطرماخ بالخاء وصوابه الطرماح بالحاء المهملة ·

٣٠ — وفي ص ١٠٨ · على نضوج قر يحته ولم اجد في اللسان والقاموس والتاج والصحاح والمصباح كلمة النضوج وانما المذكور النضج مصدر نضج واعادها في ص ١٤١ وغيرها ·

٣١ — وفي ص ١٢٢ · حتى ضج الغيورون والزهاد · وغيور يستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور وانما يجمع على غُيُر كما نص على ذلك اللسان والتاج والمصباح ·

٣٢ — وفي ص ١٢٣ · لشعر ابن ابي ربيعة (توطة في القلب) بالتاء والصواب نوطة بالنون · وفي الصفحة نفسها (وانما هو تبع نُساء) بضم النون والصواب كسرها ·

٣٣ و ٣٤ — وفي ص ١٢٤ · فيُضحي واما بالعشي فيخصر والصواب فيضحى بفتح الياء والحاء · وفي الصفحة المذكورة واطفئت مصابيح ست للعشاء وأنور · والصواب شبت بالعشاء · وفيهـا ايضاً (ونفضت عني النوم اقبلت مشية الحبَاب) ضبطها بفتح الحاء · والحباب بالفتح نفاخات الماء و بالضم الحية ولعله هنا اوفق · وفيها اريتُك ان هذا عليك بضم التاء · وفسرها في الذيل بمعنى خبرني · وهي بهذا المعنى بفتح التاء كما نص عليها صاحب اللسان ·

٣٥ — وفي ص ١٢٧ ·

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم اذا جرى فيهم المزاء والسُكرُ

ضبطها بضم السين والكاف · وفي اللسان بئس الصحاة ··· المزاء والسَكَر بفتح السين والكاف وهو الخمر او النبيذ او شراب من التمر ··

٣٦ — وفي ص ١٣٣ · لقد ولدت ام الفرزدق مقرَفا · ضبطها بفتح الراء والصواب بكسرها ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٧ — وفي ص١٥٤ · في خطبة داود بن علي · لا ورب هذه البِنْيَة · وأومأ بيده الى الكعبة · ضبط البنية بكسر الباء وسكون النون · والصواب البنية بفتح الباء وكسر النون وتشديد الياء كغنية وهي الكعبة ·

٣٨ — وفي ص١٨٨ · يتظنى من الكآبة أن يبدو الخ والاولى أن يبد ·
وفي الصفحة بتطليق عُرس · ضبطها بضم العين والصواب الكسر ·
وفي الصفحة غلائل برس ضبطها بفتح الباء والصواب الكسر او الضم ·

٣٩ — وفي ص١٨٩ · وقالت احدى شواعر الاندلس تصف وادي آش ثم ذكر الابيات :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم الخ

وفي معجم البلدان لياقوت ووفيات الاعيان ان هذه الابيات للوزير ابي نصر المنازي ·

٤٠ — وفي ص١٩٢ · واذاعوا في الناس الرنذقة والصواب الزندقة ·

٤١ — وفي ص١٩٣ · في ترجمة بشار ولقبه المرعث لانه كان في أذنيه رعاث والرعثة القرط والمعروف انه كان في أذنه رعثة · لا في أذنيه رعاث جمع رعثة ·

٤٢ — وفي ص٢٠٠ · عنك من سالي والصواب سال ·

٤٣ — وفي ص٢٠١ · شغوفاً بالاشعار · ولم اجد شغوفاً ·

٤٤ — وفي ص٢٠٦ · أعقب الهرجان والصواب المهرجان ·

٤٥ — وفي ص٢٠٨ · يدحو الرفاقة والصواب الرقاقة ·

٤٦ — وفي ص٢١٢ · وقضت غيًا مرة ورشد · ولا يستقيم وزن البيت · ولعل اصله وقضيت ·

٤٧ — وفي ص٢١٣ · انكروا شكوا مما أحبه والصواب شكواي ·

٤٨ — وفيها محمد بن الحسن الموسوي والصواب ابن الحسين ·

٤٩ — وفي ص٢١٥ · ابو اسماعيل ابن الحسين والصواب الحسين باسقاط كلة ابن ·

٥٠ — وفي ص٢١٨ · وستقنصر والصواب وستقنصر ·

٥١ — وفي ص٢٢٧ · ذهاباً بنفسه إعجاباً بشعره والصواب وإعجاباً ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٥٢ — وفي ص٢٢٨ · لو لم يكن منك الوري الذ منك هو · وصواب البيت ·(لو لم تكن من ذا الورى الّذ منك هو) ·

٥٣ — وفي ص٢٣٠ · هو ابوالحارث والصواب الحارث ·

٥٤ — وفي ص ٢٣١ · او يزبل مصون شعره والصواب او يذبل ·

٥٥ — وفي ص٢٣٤ · بغليط القطن والصواب بغليظ ·

٥٦ — وفي ص٢٣٥ · في الكلام على ابي العلاء المعري · وقف على قبره زهاء ثمانين ومائة شاعر والمشهور ثمانون شاعراً ·

٥٧ — وفيها في الذيل · فبينما يقول شلا · ولا معنى للشل ولعلها شكا ·

٥٨ — وفيها في الذيل · وبهود حادث والصواب حارث ·

٥٩ — وفي ص٢٢٦ · حتى تكول كتاباً والصواب حتى تكون ·

٦٠ — وفي ص٢٣٧ · فما النَّوْر نوّار والصواب فما النُّور بضم النون ·

٦١ — وفي ص٢٤٠ · ولكي تمام الشيء والصواب ولكن تمام الشيء ·

٦٢ — وفي ص٢٤٥ · بصبري من والصواب منها ·

٦٣ — وفي ص٢٥٦ · شلو ظعينهم والصواب طعينهم ·

٦٤ — وفيها هُضب ضبطها بضم الهاء والصواب فتحها ·

٦٥ — وفي ص٢٦٩ · يمشي الهوينا · والصواب الهوبني · وهي تصغير هوني مؤنث أهون ·

٦٦ — وفي ص٢٧٢ · لم يدع في مهجتي الاذِما ضبطها بكسر الذال · وكذلك ضبط الذِماء في ص٣٢٧ والصواب فتح الذال ·

٦٧ — وفي ص٢٧٩ · سحر عينيه جآزره بالزاي والصواب جآذره بالذال ·

٦٨ — وفي ص ٢٨٠ · بعنبر طيبه والصواب طينه لان حرف الروي النون ·

٦٩ — وفي ص٢٨٢ · ١٠٣ بيت والصواب أبيات ·

٧٠ — وفي ص٢٩٥ · برنبويه ضبطها بكسر الواو وقد ضبطها ابن خلكان بفتحها ·

٧١ — وفي ص٢٩٧ · آمالي في النحو والصواب امالي بغير مد ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٧٢ = وفي ص ٣٣٩ · ذكر · لفظ · سوريا بالالف بعد الياء وقد ذكرها غير مرة وقد ضبطها في القاموس بالياء المخففة والتاء ·

٧٣ = وفي ص ٣٥٥ · سواد الملة · ضبط الملة بضم اللام والصواب كسرها ·

٧٤ = وفي ص ٣٦٠ · وان نقصى حاجاتهم اذا سألوا والصواب نقضي ·

٧٥ = وفي ص ٣٦٤ · فالقت اليه بصرة فيها المال ضبط صرة بفتح الصاد · والصواب ضمها كما في المصباح والقاموس ·

٧٦ = وفي ص ٣٦٥ · وكان بعيد الخَوْر · والصواب بعيد الحور يقال رجل بعيد الحور اي عاقل والحور العمق ·

٧٧ = وفي ص ٣٧٤ : من المبتديان الى التجهيزية · ولا يظهر صحة هذا اللفظ ·

٧٨ = وفي ص ٣٧٧ ·

لا تحيني روحي الفداء لما حبيك غداً من صحيفة المقدور

والوزن والمعنى يقضيان ان يكون الصواب · لما حيك ·

سليم الجندي
عضو المجمع العلمي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قاعدة توهم الاصالة

— أو —

انجذاب الطبع

كتبتُ تحت هذا العنوان مقالين احدهما في (المجلد ٥ ص ٢٠٥) والثاني في (المجلد ١٠ ص ١٢٩) فجاءني من الاستاذ سليمان ضاهر عضو مجمعنا العلمي كتاب أثنى فيه على المقالين وعد موضوعهما من الموضوعات المبتكرة فرجوت منه ان يساعدني في تقصي أشباه تلك الكلمات التي جمعتها فيكون لنا منها رسالة مستقلة في موضوع الكلمات الشاذة الصيغة بناء على التوهم .

ولا حاجة الى تلخيص ما قلته في المقالين وانما انا أذكر القارئ الكريم بهما بذكر مثال منهما :

(ريح) اصل يائها واو ولذا تجمع على (أرواح) لكن اهل اللسان توهموا ان الياء في ريح اصلية لا منقلبة عن واو ولذا جمعوها على (أرياح) ايضاً . وقد سردت في المقالين أشباهاً ونظائر لكلمة (ريح) بلغت (٤٤) كلمة خولف فيها القياس بناءً على التوهم . وقد أنيت في المقالين على ذكر كلمات غير فاموسية مما نستعمله اليوم وعدّه بعضهم من (عثرات الأقلام) الواجب تجنبها لكنني انا بنيت تجويز استعمالها على (قاعدة توهم الحرف الزائد اصلياً) وذلك كقولهم (أشّر على الكتاب بوشر تأشيراً) فقلت ان هذا جائز بناءً على توهم ان همزة (إشارة) أصلية لا زائدة .

ومازلت من يومئذ أداأب في جمع أمثال تلك الكلمات فعثرت على طائفة أخرى منها أحببت ان أودعها مقالي هذا زيادة في خدمة هذا البحث وايضاح موضوعه .

(رقم ٤٥) : فعل (يتسنّه) في قوله تعالى (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه) مرّ معنا في المقالين (مجلد ٥ ص ٢١٠) و (مجلد ١٠ ص ١٣١) ان كلمة (سنة) بمعنى العام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أصلها سنو حذفت الواو وعوض عنها (تاء) فهذه التاء تارة توهموا أصالتهـا فاشتقوا من (سنة) بناءً على هذا التوهم فعل (أسنت) القوم بمعنى قحطوا - وتارةً كانوا يتوهمون تلك التاء (هاء) ومن ثم جمعوها على (سنهات) واشتقوا منهـا فعل فقالوا (سانهه) هذا ملخص ماقلناه هناك وهنالك . اما مانقوله هنا فهو في تحقيق فعل (يتسنّه) بالنون المشددة والهاء الساكنة . فنرى اولاً ماذكره المفسر الكبير (الطبري) ثم نذكر ما عنّ لنا في امر تطبيقه على (قاعدة التوهم) :

رجّح الطبري في تفسيره (جزء٣ صفحة٢٥) ان هاء (يتسنّه) أصلية وليست بزائدة للوقف وان ماضيه (تَسَنَّهَ) (من التفعل) اي أتت عليه السنون فتغير كما يقال ايضاً (أَسْنَهَ) فلان عندنا اذا أقام سنة .

إذن المادة الأصلية التي اشتق منهـا كل من فعل (تسنَّهَ) و (أَسْنَهَ) — هي كلمة (سنة) بمعنى العام باعتبار ان أصلهـا (سنه) بالهاء لا (سنو) بالواو . وهو قول لبعضهم ولم يرض الطبري ان يكون اصل (يتسنّه) = (يتسنّن) وان تكون هاؤه للوقف كما في آية (فبهداهمو اقتده) . وقال ان هاء (اقتده) لاوجه لها الا ان تكون للوقف . بخلاف هاء (يتسنّه) فلايحسن ان نجعلها زائدة للوقف مادام يمكننا جعلها أصلية من مادة (سنة) بمعنى العام . وجعلها أصلية لازائدة هواللائق بكتاب الله . قال واذا جعلنـا هاء (يتسنّه) زائدة للوقف كان أصله (يتسنّنُ) بثلاث نونات (على وزن يتكلم) فقلبت الثالثة ألفاً كما قلبت في فعلي (يتظنّن) و (ينقضض البازي) فقيل (يتظنّى) و (ينقضّى) وفعل (يتسنّن) قيل فيه (يتسنّى) ثم دخله الجازم في الآية فقيل (لم يتسنّ) ودخلته هاء الوقف فقيل (لم يتسنّه) ففعل (تسنّن) لاعلاقة له بالسنة بمعنى العام وانما علاقته بمادة (سن) مشددة النون . ومعناه يتغير ويتنن . ومنه قوله تعالى (من حمإ مسنون) اي منتن متغير .

هذا محصل ماقاله الطبري . بقي علينا ان نبحث في ما اذا كانت مادة (سنّ) تفيد معنى الانثان والتغير . هذا القاموس وشرحه ومستدركه سردوا عدة معانٍ للسن ولم يذكروا معنى التغير والنتن فيها . اللهم الا الشارح (التاج) فقد قال : « قال : ابو الهيثم سنّ الماء فهو مسنون اي تغير » وقول الطبري في تفسير قوله تعالى (حمإ مسنون) (جزء١٤ صفحة٢٠) مانصه « وكان بعض؟ أهل الكوفة يقول (المسنون) هوالمتغير قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كأنه أخذ من سننتُ الحجر على الحجر وذلك ان يحك احدهما بالآخر ويقال للذي يخرج من بينهما سنين ؟ ويكون ذلك منتناً اه » .

فمادة (سنّ) إذن تدل على معنى التغير والنتن كما فهم من قول (ابي الهيثم) و (بعض اهل الكوفة) وعلى أساس قوليهما بنى بعض المفسرين واللغو يين حكمه في ان الهاء في (يتسنه) زائدة للوقف وان اصل (يتسنى) (يتسنن) كما ان اصل (يتظني) (يتظنن) .

ومن هنا ننتقل الى قاعدة (توهم الأصالة) وتطبيقها على (تسنن) بمعنى تغير وأنتن : ان المفسرين واللغو يين الذين يفسرون (التسنن) بالانتـان والتغير يقولون هكذا : (يتسنن يتغير لمرور السنين عليه) فكلمة (السنين) مأخوذة في تعريف كلمة (التسنن) وداخلة في مفهومها وملاحظة في تحليل معناها . والسنون جمع (سنة) و (سنة) ليس في مادتها الا نون واحدة . أما جمعها (سنون وسنين) ففيها نونان إحداهما أصليـة والاخرى زائدة لإفادة الجمع . والكلمتان تذكران كلما أريد وصف الشيء بالقدم فيقال (قديم مرت عليه السنون) (قديم لم تغيره السنون) (قديم مرّ عليه كذا من السنين) فمن ثم علق بالطبع وتوهمت النفس ان نون الجمع أصلية في (سنين وسنون) لازائدة وان توهم أصالتها هذا جذب طبع العرب الى ان يشتقوا من سنين مشتقات مضاعفات النون فاشتقوا (حمأ مسنون) اي مرت عليه سنون ويلزم من مرور السنين عليه تغيره وتنته فالتغير والنتن لازم لمعنى (السنّ) وليس هو المعنى نفسه . واشتقوا ايضاً من مادة (سنين) فعل (يتسنن) من باب (يتكلم) بمعنى مرت عليه سنون طويلة حتى تغير وأنتن . ومنه قوله تعالى (لم يتسنّه) اي لم يتغير ولم يفسد بمرور السنين عليه .

هذا ما رأيته في تحليل كلتي (مسنون) و (يتسنه) وتطبيقهما على قاعدة توهم أصالة الحرف الزائد وهو نون الجمع في سنين . والذي جعلني أذهب الى هذا قلة ما رأيت أرباب المعاجم يفسرون مادة (سنّ) بمعني التغير والنتن . اللهم الا ماروي عن (ابي الهيثم) و(بعض أهل الكوفة ؟) وقد رأيت قولهما غامضاً ولم يؤيدهما فيه احد بل ربما كان تفسيرهما السن بالتغير من باب التفسير باللازم كما مرت الإشارة اليه آنفاً .

(٤٦) : (ميثاق ـ مياثيق ومياثق) يقال في هذا الجمع ما قلناه في (مياسم جمع مبسم) وقد مر في (مجلد ١٠ صفحة ١٣١) فان (ميثاق) بمعنى العهد مشتق من (وثق) الواوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واصله (موثاق) فاذا أريد جمعه قيل (مواثيق) وهوالقياس · لكنهم لما رأوا الياء وسمعوها تتكرر في (ميثاق) المفرد (واخذ الله ميثاق النبيين) توهموها أصلية فجمعوها ايضاً على (مياثيق) بياء قبل القاف وانما أثبتوا هذه الياء لوجود الألف في المفرد أعني (ميثاق) وجاء فيه (مياثق) من دون ياء أنشد الفرا :

(رحيَ لا يُحَلّ الدهرَ الا باذننا ولا نسأل الأقوام عقد المياثق)

وحذف (الياء) من (مياثق) وأمثاله ضرورة اوقياس؟ خلاف · وقد مشى الزبيدي في التاج على انه قياس بدليل قوله (واما ابن جني فقد لزم البدل في مياثق كما لزم في عيد وأعياد) · وقوله (البدل) اي ابدال الواو ياءً · فيقال (مياثق) لا (مواثق) كما قالوا (أعياد) لا (أعواد) راجع ماقلناه في (عيد أعياد) (مجلد٥ صفحة٢٠٦) ·

نقول : لما ذا لم يجعلوا (مياثق) من دون ياء قبل القاف جمعاً لموثق كما هو القياس لا لميثاق ؟

والجواب انهم انما لم يجعلوها جمعاً لموثق لعدم إمكان تطبيق (قاعدة التوهم) عليها · وذلك ان (موثق) فيها واو فتجمع على (مواثق) بالواو ولا يقال في موثق (ميثق) بالياء حتى يجمعوها على (مياثق) بالياء وتراهم قد صرحوا ان (مياثق) مفردها (ميثاق) التي فيها ياء · وهذا يؤيد قاعدتنا التي أصّلناها في التوهم ·

(٤٧) : (شيءٌ أصابته الريح : فهو مروح ومَريح) : مما جاء على قاعدة توهم أصالة الحرف قولهم (شيءٌ مريح) اذا أصابته الريح وهو اسم مفعول من (الريح) و ياء الريح أصلها واو لكنها قلبت ياءً لانكسار ماقبلها وقد مر هذا في تحليل جمع (ارياح) (مجلد ٥ ص٢٠٥) وانه كان الواجب ان يقال (ارواح) ·

واذ كانت (الريح) مشتقة من (الروح) الواوي كان الأصل ان يقال في اسم مفعوله (مروح) بالواو كما قالوا (مقول) من القول و (مصوغ) من الصوغ لكنهم قالوا ايضاً (مريح) بالياء كأنما هو يأتي الاصل على حدّ (مكيل) المشتق من الكيل ·

ولما ذا فعلوا ذلك ؟

لانهم رأوا الياء في (ريح) لازمة فتوهموها أصلية لامنقلبة وانجذب طبعهم الى جعل اسم مفعولها (مريح) مثل (مروح) القياسي · اونقول ان قولهم (مريح) بناءً على توهمهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أصالة الياء في فعل (ربح الغديرُ) ونحوه اذا أصابته الريح هكذا يفهم من (التاج) اي ان لزوم الياء في (مريح) ناتج عن توهم أصالة ياء (ربح) اعني الفعل المجهول لا ياء (الريح) التي هي اسم ٠

قال ابو حية النميري :

(لعيناك يوم البين أسرع واكفا من الفنن الممطور وهو مروح)

والفنن هو الغصن و (الممطور) هو الذي أصابه المطر و(المروح) الذي أصابته الريح هذا شاهد (مروح) الذي هو القياس اما شاهد (مريح) الشاذ فقد ذكره ابو زيد الانصاري في نوادره (صفحة ٣٦٠) من ارجوزة في صفة دروس الدار وهو قوله :

(ودرست غير رمادٍ مكفور مكتئب اللون مريحٍ ممطور)

اي ان الدار اندرس اثرها ولم يبق فيها غير رماد قد كُفِر اي ستر وأصابته الرياح والامطار ٠ وروى صاحب التاج هذا الرجز لمنظور بن مرثد الاسدي واوله :

(هل تعرف الدار باعلى ذي القُور) و (القور) جمع قارة وهي الجبلة ٠ على ان (التاج) روى في الرجز المذكور (مروح) مكان (مريح) ثم عاد فقال : (ومريح ايضاً) بالياء : مثل (مشوب) و (مَشيب) بُني على (شِيب) ٠ وغصن مريح ومروح أصابته الريح وقال يصف الدمع :

(كأنه غصن مريح ممطور)

وكذلك مكان مروح ومريح وشجرة مروحة ومريحة صفقتها الريح فألقت ورقها اه ٠

(٤٨) : (لبن مشوب ومَشيب) مر في الكلام على (مريح) الاشارة الى ان صاحب التاج مثّل لمريح بكلمة (مشيب) من حيث مخالفة كل منهما للقياس وان (مريح) بالياء ان كانت بُنيت على (ريح الغدير) فان (مشيب) اسم مفعول بمعنى (مشوب) بنيت على (شِيبَ) وعبارة التاج موجزة جداً ٠ لكنه عاد فأوضحها في مادة (شوب) فقال (والشوب ماشبته من ماء او لبن فهو مشوب ومشيب) ثم زادها ايضاحاً بقوله « وقول السليك ابن السلكة :

(سيكفيك صربَ القوم لحمٌ مغرضٌ وماءٌ قدورٍ في القصاع مشيبُ)

انما بناه على (شِيب) الذي لم يسم فاعله » ثم فسّر البيت فقال و (الصرب) اللبن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحامض ، (اللحم المفرّض) الغريض الطري . وقوله ماء قدور مشيب اي مخلوط بالتوابل فصح لنا من قول التاج شاهد على قاعدتنا في توهم أصالة الحرف وهو كلمة (مشيب) فان قياسها (مشوب) لكن العرب من كثرة ما استعملوا فعل « شِيب الماء » و « شيب الخمر » و « شيب اللبن » .

(تلك المكارم لا قعبانِ من لبن شيبا بماء فعادا بعدُ ابوالا)

— توهموا ان الياء في فعل (شيب) أصلية فبنوا صيغة اسم مفعوله على صيغته فقالوا (مشيب) استناداً الى هذا التوهم . اما كلمة (مشيب) بمعنى الشيب فصيغتها وإعلالها الصرفي جار بان على نمط آخر .

(هَنَهَ — هنيَّةً هُنَيْهة) : (الهِنْوُ) بكسر هائه معناه الوقت يقال : (مضى هنو من الليل) واذا فتحت هاءه كان معناه الشيءُ . لكنهم اذ ذاك لا يبقونه على حاله بل يتصرفون فيه على ضروب : فاذا حذفوا واوه ولم يعوضوا عنها حرفاً مكانها وقالوا (هن) كان كناية عن السوأة وكل مستقبح .

واذا عوضوا عن الواو تاءً مربوطة فقالوا (هنة) كما قالوا في (سنو) (سنة) — كنوا بها عن الشيءُ القليل او الحقير واذا قالوا (فلان صاحب هنات) أرادوا بها خصال الشر .

واذا عوضوا عن واو (هنو) تاء مبسوطة وقالوا (هَنْت) كنوا بها عن المرأة و يشترط حينئذ استعمالها في النداء فيقولون (يا هَنْتاه) لكنه نداء لا يشرّف صاحبته اذ ان فيه معنى التحقير او التجهيل ولذا فسر بعضهم (ياهنتاه) في حديث الافك بيا بلهاء . ومنه قول (دُغَة) لضرتها (ياهنتاه هل يغفر الجَعْرفاه) مع ان (دغة) هي الجديرة بالتهكم والتجهيل . راجع حكايتها في شرح قول العرب في المثل (أحمق من دغة) .

نرجع الى (هنة) بالتاء المربوطة ويكنى بها عن الشيءُ القليل .

(هنة) هذه تصغر فيقال فيها (هنيّة) وأصلها (هنيوه) بالواو في آخرها لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها . و يريدون (بهنيّة) المصغرة ما أرادوه (بهنة) المكبرة أعني انها تستعمل كناية عن الشيءُ اليسير او الحقير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكننا أحياناً كثيرة نسمعهم يقولون في تصغير (هنة) (هنيهة) بالهاء بعد ياء التصغير و يريدون بها الحصة القليلة من الزمان ·

فمن اين جاءت هذه الهاء مع ان (هنيهة) تصغير (هنة) واصل (هنة) (هنو) ؟ جاءت من توهمهم في تاء (هنة) المربوطة انها هاء أصلية لكثرة مايقفون على تاء (هنة) بالهاء فيقولون (هنه هنه) · وهذا كما مر في سنة (مجلد ٥ صفحة ٢١٠) اذ هم جمعوها على (سنوات) كماهوالاصل — و (سنهات) بناءً على توهمهم اصالة الهاء في (سنه) ·

(٤٩) : (اختار من القوم زيداً — واختارالقومَ زيداً) ويمكن ان نعدّ من (قاعدة التوهم) قولهم في فصيح الكلام اختار القوم زيداً بنصب (القوم) بمعنى اختار من القوم زيداً ومنه الآية الكريمة (واختارموسى قومه سبعين رجلاً) اي (من قومه) لان فعل (اختار) ينصب مفعولاً واحداً ويتعدى الى مفعوله الثاني بحرف الجر (من) وقد تحذف (من) من مفعوله كما في الآية وغيرها من فصيح كلام العرب ·

فلما ذا حذفت من ؟

علماء النحو يختصرون الجواب للطالب ويقولون انها حذفت بناءً على نزع الخافض فتقدير الآية (واختارموسى من قومه سبعين رجلاً) · ولكن علماء اللغة سلكوا في تعليل الحذف طريقاً آخر : فقال ابوالعباس (ثعلب) انما جاز حذف من لأن فعل (اختار) يدل على التبعيض ولذلك حذفت (من) · يعني الاستغناء عنها وعدم إطالة الكلام بوجودها · اما صاحب التاج فعلل حذف (من) بعد فعل (اختار) بقوله « انه مأخوذ من قولك هؤلاء خيرالقوم وخير من القوم فلما جازت الإضافة بمكان (من) ولم يتغيرالمعنى استجازوا ان يقولوا اخترتكم رجلاً واخترت منكم رجلاً اه · أليس في عبارته هذه مايشعر بمراعاة قاعدة التوهم ؟

فكلمة (خير) أصلها (أخير) أفعل تفضيل وهي تارة تذكر بعدها من التفضيلة فيقال زيد خير من القوم وتارة بل كثيراً ماتحذف (من) ويقال (زيد خير القوم) (زيد خير الرجال) (زيد خير بني أبيه) الخ · وان حذف (من) بعد (خير) جعل العرب يتوهمون لزوم حذفها حتى بعد الفعل الذي اشتق من (خير) وهو (اختار) فجعلوا يقولون اخترت زيداً الرجال ومن الرجال واخترت قومي رجلين ومن قومي رجلين وجعل الفرزدق يقول :

(ومنا الذي اختير الرجالَ سماحة وجوداً اذا هب الرياح الزعازع)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اي (من الرجال) . فحذف (من) بقع في فصيح الكلام . ولا أدل على فصاحته من طبع الآية القرآنية على غراره .

(٥٠) : (سيّد . سَيْد . أسياد) الكلمات السابقة صرح اللغويون او أشاروا الى انها خالفت القياس بناء على قاعدة التوهم . ولدي كلمة أريد ان أعرضها على القراء ثم أطبقها على قاعدتي في التوهم . وهي كلمة جارية في لغة تخاطبنا كثيراً أعني كلمة (أسياد) جمع (سيّد) وانما المعروف والمشهور ان (سيّد) بتشديد الياء تجمع على سادة وسادات وسيايد أما (أسياد) فقد انكرها العلامة البازجي ولم يذكرها الا صاحب أقرب الموارد . وقد اشتبهوا بهذا الجمع واكثروا من التساؤل عن صحته حتى عدّوه من (عثرات الاقلام) بل من عثرات (أقرب الموارد) وانا أرى جوازه بناء على توهم أصالة الحرف . وبيانه ان الوصف من ساد يسود (سيّد) بتشديد الياء وأصله (سيود) على وزن (فيعل) بزيادة ياء قبل عين الفعل ثم أعلّ . فهو كميّت المشددة ولا يخفى انه يقال في (ميّت) (ميْت) بالتخفيف فكذلك يقال في (سيّد) المشددة (سيد) بالتخفيف . جاء في المزهر (جزء ٢ صفحة ١٧٣) نقلاً عن الصحاح يقال في سيّد سيْد بالتخفيف كما يقال في هين هين ولين لين وميّت ميت الخ . وهنا يقال : أية الياءين التي حذفت من (سيّد) ؟ الياء الاولى الزائدة اما الياء الثانية المنقلبة عن الواو التي هي من بنية الكلمة ؟ والجواب ان المحذوف هو الياء الزائدة لأن الحذف بها ألبق و ينبغي ان يكون اليها أسبق : بدليل انهم جمعوا (ميت) المخفف على (أموات) بالواو والجمع يرد الاشياء الى اصولها فهو هنا ردّ الياء الى واو لأنها عين الكلمة فقيل (أموات) لا (أميات) .

حسن ! ! ولكن لماذا لم يجمعوا (سَيْد) المخففة على أسواد بالواو كما جمعوا ميت على أموات وكلاهما واوي العين . والجواب ان كلمة (سَيْد) المخففة كثر استعمالها وتداولها على افواهنا حتى اضطررنا ان نخففها تخفيفاً ثانياً بكسر سينها فنقول (سِيْدي) مكان (سَيْدي) لاسيما إخواننا المغاربة الذين يكثرون من قول سيدي عبد الكبير سيدي بن زرّوق سيدي جنون الخ الخ — كل هذا جعلنا نتوهم ان الياء في (سَيْد) اصلية لا منقلبة عن واو ومن ثمّ قلنا في جمعها (اسياد) لا (اسواد) وهذا كما مرّ في لفظ (قَيْل) الذي يطلق على أمراء اليمن واصله (قيول) بالواو فجمعوه على (أقيال) بالياء توهماً ان ياء (قيل) — المستعملة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كثيراً — اصلية · راجع ماقلناه عن(اقيال) في(مجلد ١٠ صفحة ١٣٣) والحاصل ان المعاجم وان لم تصرح بان(سيّد) تجمع على أسياد لكن ار بابها صرحوا بانها تخفّف · وهذا التخفيف يجعلها (كميت) المخففة · و(ميت) المخففة تجمع على أموات فكان الظاهر ان تجمع (سَيْد) المخففة على (اسواد) مثلها · لكننا نحن المتأخرين من ابناء الضاد انجذبنا بنابل من طبعنا الى جمعها على (اسياد) بالياء بناءً على توهم اصالتها في (سيد) المفرد ·

(تتمة) نشر القسّ عبد المسيح زهر في مجلة المشرق (سنة ٢٦ صفحة ٦٧٢) مقالاً ضمنه كلمات لم تذكرها المعاجم مع انها وردت في فصيح كلام العرب من ذلك كلمة اسياد جمع سيّد فقال القس انها وردت في شعر النمر بن تولب :

(ابقى الحوادث والايام من نمر اسياد سيف كريم أثره بادي)

وعندي ان كلمة (اسياد) في هذا البيت محرفة لان قوله (من نمر) يريد نفسه فهو يقول ان حوادث الدهر لم تبق منه سوى (اسياد سيف كريم) فما معنى اسياد سيف اي اشراف سيف ؟ واري انها محرفة عن(اسباد) بالباء الموحدة بمعنى بقايا : فان (السبد) كالكشف البقية من الكلاء و بارض بني فلان (اسباد) اي بقايا من النبت · ونقل اسباد من معنى بقايا النبت الى بقايا السيف له نظائر في كلامهم · او ان(اسياد) محرفة عن (اسيار) جمع (سير) بالراء وهو القدة من جلد و يكون اراد بالاسيار حمائل السيف · ومهما يكن فبيت نمر ليس بالشاهد القطعي الدلالة فيما أظن ·

« المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحقيق الجاحظ (١)

- ٤ -

« الاستعانة بالعقل »

تجربة وعيان وسماع : هذه اصول الجاحظ في تحقيق الأخبار ، وأريد بالاخبار في هذا المقام أخبار العلم وخاصة علم الحيوان فقد استكمل الجاحظ كثيراً من صفات العالم : جرّب وعاين وسمع ولهذه الاصول شأن عظيم في علوم الطبيعة وبلغ من هذا الشأن أنهم عابوا بعض علماء الطبيعة بزهدهم في التجربة والعيان فعابوا مثلاً العالم (بوفون) ببعض كتبه في نشوء الارض وفي أدوار الطبيعة فقالوا فيه : وصف كثيراً وعاين قليلاً (٢) .

فالجاحظ لم يفته فضل العيان والتجربة وان فاته في بعض الأحوال روح الترتيب في الذي عاينه أو جرّب عليه ، او فاته خيالُ العالم ، وأعني بهذا الخيال قدرة العالم على التعميم وعلى الحزر والحدس لاستنباط القوانين العامة ، او فاته التمكن من انشاء المقاييس العلمية فقد نجد كثيراً من معارفه مبعثرة لايجمعها نظام واحد .

وكما جرّب وعاين فقد سمع وكان في معرفة السماع شديد التثبت والتوثق .

ولقد ضمّ الى هذه المذاهب كلها ، الى التجربة والعيان والسماع مذهباً آخر وهو العقل ، فقد جعل العقل دليله في مجامع اموره ، فما كان يصدّق الا ما تثبته الأدلة ويحققه الامتحان فالعقل في نظره انما هو الحجة في حكم الامور .

فلننظر في مجلسنا هذا في طائفة من خصائص عقله قد نهتدي اليها في أبواب كثيرة

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

(٢) ادب القرن الثامن عشر (لميل فاكه ص ٤٣١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من أبواب الحيوان كالكلام على بعض عجائب الحيوان او على طول عمر البغل وأعمار ذكورة العصافير او على ابتلاع السمكة للطعم او على وضع النمرة ولدها وهو متطوق بافعى او على القاح الثور او على الضفادع او على الخلق المركب او على الأفاعي او على ولد الكركدن او على خلق السنانير والخنازير او على تعاون الذر او على غير ذلك من الامور التي قد يطول استقصاؤها .

فاذا أردنا ان نعرف خصائص هذا العقل في التحقيق لزمنا ان ننظر الى بعض مواطن من المواطن التي يظهر فيها تصرف العقل ومقدار نفاذه ، وأظن اننا اذا بحثنا عن اشياء يسيرة من طبيعة نقده العلمي او من طبيعة شكه في بعض امور العلم او من طبيعة تنقيبه عن علة هذه الامور استطعنا أن نحيط بناحية من نواحي عقله .

اما طبيعة نقد الجاحظ في أبواب العلم فالذي يعنينا من أمرها انما هو الوقوف على الامور التي وطّن نفسه على إبطالها وردّها اوالوقوف على الامور التي كان يعيب بها عالماً من العلماء ، فهل كان يقرع الحجة باشباهها ام كان يرد قولاً من الأقوال مقتصراً على مجرّد الرد وهل كان يجسر على نقد العلماء دون التقيد بشيء ومن هم العلماء الذين نقدهم .

واما طبيعة الشك فالذي يهمنا من شأنها ان نعرف أيميل الجاحظ الى الشك ، أيشك في الامور وصولاً الى اليقين ام يشك فيها للشك وحده ، واذا شك في امر فهل يبين الأسباب التي من أجلها يبطل هذا الأمر في نظره ، ام انه يشك في هذا الأمر دون بيان شيء من هذه الاسباب .

واما طبيعة تنقيبه عن علة من العلل فالذي يشغلنا منها انما هو مقدار تصرف عقله في هذا التنقيب ومبلغ نفاذ هذا العقل .

فلنتفرغ قبل كل شيء للكلام على نقده العلمي ، ما الذي كان يشغل بال الجاحظ في هذا النقد ، هل كان يجسر على التكذيب في كل حين ، من هم العلماء الذين نقدهم .

همّ الجاحظ الأبعدُ عرض الامور على التصحيح والتمييز فقد كان مولعاً بالتنبيه على الخرافات سواء أكانت هذه الخرافات في أبواب العلم أم كانت في ابواب الدين فهو كثير التنديد بعبث الامور وممنعها فاذا أصاب فرصة في التحذير من توليد الكذابين ومن غرائب الاخبار حذّر بقدر ما أوتيه من حكمة وبيان ، فان الذي لا يصدق الا ما تثبته الأدلة ويحققه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العيان والتجربة والسماع قد يصعب عليه ان يجعل مجال الخرافات ذا سعة فمن قوله في هذا المعنى[١] :

« وقد ابتلينا بضربين من الناس ودعواهما كبيرة ، احدهما يبلغ من حبه للغريب ان يجعل سمعه هدفاً لتوليد الكذابين وقلبه قراراً لغرائب الزور ولكلفه بالغريب وشغفه بالطُرَف لا يقف على التصحيح والتمييز فهو يدخل الغث في السمين والممكن في الممتنع ويتعلق بادنى سبب ثم يدفع عنه كل الدفع ، والصنف الآخر وهو ان بعضهم يرى ان ذلك لا يكون منه عند من يسمعه يتكلم الا من خاف التقذر من الكذب ...

فالجاحظ كما يتبين لكم من هذا الكلام يكره غرائب الاخبار مما لا يحققه العقل . ومن هذه الغرائب التي تجرّد لردها والتحذير منها كلامهم على بعض الخلق المركب فقد قال[٢] :

« وقالوا في الخلق المركب ضروباً من الحق والباطل ومن الصدق والكذب .... وزعم حريث انه كان بأَبْدَجَ فاذا سحابة ضحياء تكاد تمس الارض وتكاد تمس قمم رؤوسهم وانهم سمعوا فيها كأصوات المجانيق وكهدير الفحول في الأشوال ثم انها دفعت باشد مطر رؤي او سمع به حتى استسلموا للغرق ثم اندفعت بالضفادع العظام ثم اندفعت بالشبابيط السمان الخزال فطبخوا واشتووا وملحوا وادخروا » .

وقال في مقام آخر شبه هذا الكلام[٣] :

« وفيها اعجوبة أخرى وذلك انا نجد من كبارها وصغارها الذي لا يحصى في غب المطر اذا كان المطر ديمة ولم نجدها في المواضع التي ليس بقربها بحر ولا نهر ولا حوض ولا غدير ولا واد ولا بئر ونجدها في الضحاضح الأمالس وفوق ظهور مساجد الجماعة حتى زعم كثير من المتكلفين ومن اهل الجسارة وممن لا يحتفل بسوء الحال عند العلماء ولا يكترث للشك انها كانت في السحاب ولذلك طمع اكثر الكذابين ممن نكره اسمه فذكر ان اهل

---

(١) كتاب الحيوان (الجزء الرابع ص٥٨) .
(٢) » » » الاول ص ٦٨) .
(٣) » » » الخامس ص١٥٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيدّج مطروا اكبرشبابيط في الارض وأسمنها وأعظمها وانما تلك الضفادع شيء يخلق في تلك الحال بمزاوجة الزمان وتلك المطرة وتلك الارض وذلك الهواء والضفادع من الخلق الذي لاعظام له ويزعم اصحاب الغرائب ان العلاجيم منها المذكورة السود ويقال أرشح من ضفدع وتزعم الاعراب ان الضفدع كان ذاذنب وان الضب سلبه إياه وذلك في خرافة من خرافات الأعراب ولا يكون ذلك حتى يجمع بين الاروى والنعام وحتى يجمع بين الماء والنار وحتى يشيب الغراب وحتى تقع السماء على الارض » .

يستخرج مما تقدم ان الذي يشغل بال الجاحظ انما هو التنبيه على الكذابين وعلى غرائب الأخبار الا انه قد لا يكلف نفسه في بعض هذا التنبيه المجيء بالبرهان وكأنما رأى ان تكذيب هذه الأعاجيب انما هو معلوم في بدائه العقول فلا يحتاج الى شيء من البراهين .

وقد يظهر لنا ان حرية النقد كانت ضيقة المذاهب في بعض الاحايين فكان الجاحظ يشير الى الأجناس العجيبة من الأقوال دون ان يجسر في كتبه على تكذيب العلماء ودرّاس الكتب او على تسميتهم من هذا النحو قوله [1] :

« والعوام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكركدن وتزعم انه ربما نطح الفيل فرفعه بقرنه الواحد الذي في وسط جبهته فلا يشعر بمكانه ولا يحس به حتى ينقطع على الأيام وهذا القول بالخرافة أشبه ، وأعجب من القول في ولد الكركدن ما يخبرنا به ناس من اهل النظر والأدب وقراءة الكتب وذلك انهم يزعمون ان النمرة لا تضع ولدها ابداً الا وهو متطوق بافعى وانها تعبش وتنهش الا انها لا تقتل ولو كنت اجسر في كتبي على تكذيب العلماء ودرّاس الكتب لبدأت بصاحب هذا الخبر وليس هذا عندي كزعمهم ان الأفعى تلد وتبيض لأن تأويل الأفعى ينفصل ببيضها فاذا طرقت بالبيض تلون فحطمته في جوفها ثم ترمي بتلك القشور والحراشي اولاً فأولاً ولا بد لكل ذات حمل ان تلقي مشيمتها » .

او قوله في موطن آخر في خرافة من الخرافات وهو لم يسم صاحب هذه الخرافة [2] :

« ومما لا اكتبه لك من الأجناس العجيبة التي لا يجسر عليها الآكل وقاح أخبار بعض العلماء وبعض من يؤلف الكتب يقرأها ويدارس اهل البصرة ويتحفظها زعموا ان

(١) كتاب الحيوان (الجزء السابع ص ٤٢) .
(٢) » » » » ص ٤٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الضبع يكون عاماً ذكراً وعاماً أنثى وسمعت هذا من جماعة منهم من لا استجيز تسميته ، قال الفضل بن اسحق : انا رأيت المفص والبلوط في غصن واحد ، قال : ومن المفص مايكون مثل الاكر وقد خبرني بذلك غيره وهو يشبه تحول الانثى ذكراً والذكر أنثى وقد ذكرت العرب في اشعارها الضباع والذئاب والسبع والعسبار وجميع الوحوش والحشرات والاجناس وهم اخبر الخلق بشأن الضبع فكيف تركت ماهو اعجب واظرف وقد ذكرت العلماء الضباع في مواضع من الفتيا لم نر احداً ذكر ذلك واولئك باعيانهم هم الذين يزعمون ان الثمر تضع في مشيمة واحدة جروا وفي عنقه افعى قد تطوقت به واذا لم يأتنا في تحقيق الاخبار شعر شائع او خبر مستفيض لم نلتفت اليه » .

على انه قد تعرض لجماعة فسماهم وجسر على تكذيبهم فقد قال [1] :

« ورووا عن ابي وائلة انه زعم ان من الدليل على ان الشبوط كالبغل ان الناس لم يجدوا في طول ماا كلوا من الشبابيط بيضاً قط فان كان هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة العقل ، المنعوت بثقوب الفراسة ودقة الفطنة صحيحاً فما اعظم المصيبة علينا فيه ، وما اخلق الخبر ان يكون صحيحاً وذلك اني سمعت له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان واقسام الاجناس يدل على ان الرجل حين أحسن في اشياء وهمته العجب بنفسه انه لا يروم شيئاً فيمتنع عليه وغرّه من نفسه الذي غرّ الخليل بن احمد حين احسن في النحو والعروض فظن انه يحسن الكلام وتأليف اللحون فكتب فيهما كتابين لا يشير بهما ولا يدل عليهما الا المرّة المحترقة ولا يؤدي الى مثل ذلك الا خذلان من الله تعالى فان الله عز وجل لا يعجزه شيء » .

الا ان الذي تعرّض له كثيراً في كتابه انما هو ارسطاطاليس فقد عاب عليه اموراً كثيرة منها انه لم يبن في تحقيقه على الاصول التي بنى عليها الجاحظ نفسه ، اي لم يثبت اموره بالعيان او بمعرفة السماع ، من هذا النحو قوله [2] :

« وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان فيما سلف من الدهر ان ثوراً سفد والقح من ساعته بعد ان خصي .

فاذا افرط المادح في المديح وخرج من المقدار وافرط المتعجب في التعجب وخرج من

(١) كتاب الحيوان (الجزء الاول صفحة ٦٨) .

(٢) » » » الخامس » ٧٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المقدار احتاج صاحبه الى ان يثبته بالعيان او بالخبر الذي لم يكذب مثله والا فقد تعرّض للتكذيب ولو جعلوا حركتهم خبراً وحكاية ونبروا عن عينه ماضرهم ذلك فكان ذلك أصون لأقدارهم واتم لمروآت كتبهم » .

او قوله في موطن آخر[١] :

« وفي المثل : أغلم من تيس بني حمّان وحمّان تزعم انه فقط سبعين عنزاً وقد فربت أوداجه فهذا من الكذب الذي يدخل في باب الخرافة .

وقد ذكر صاحب المنطق انه قد ابصر ثوراً وثب بعد ان خصي فنزا على بقرة فأحبلها ولم نجد هذا من معاينة ، والصدور تضيق بالرد على اصحاب النظر وتضيق بتصديق هذا الشكل » .

او قوله[٢] :

« واما قول صاحب المنطق في ان الضفادع لاتنق حتى تدخل فكها الاسفل في الماء لان الصوت لايجيئها حتى يكون في فيها ماء فقد قال ذلك ووافقه عليه ناس من العلماء وادعوا في ذلك العيان وانما زعمه بان السمكة لا تبتلع شيئاً من الطعم الا ببعض الماء فأي عيان دل على هذا وهذا عسير » .

او قوله[٣] :

« وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل وما يليق بمثله ان يخلّد على نفسه في الكتب شهادات لايحققها الامتحان ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء وما عندنا في معرفة ماادّعى الى هذا القول » .

ولم يقتصر الجاحظ على مؤاخذة ارسطاطاليس بانه لم يعتمد في تحقيقه على العيان والسماع والامتحان وانما عاب عليه في بعض الأحوال انه اذا تكلم على حيوان فانه لا يستوفي عجائب هذا الحيوان ، من هذا كلامه على الفيل[٤] :

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ١٧٤ .
(٢) » » » » » ١٥٦ .
(٣) » » » الاول » ٨٧ .
(٤) » » » السابع » ٧٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وما أعجب ماقرأت لصاحب الحيوان في كتاب المنطق وجدته وقد ذكر قصر عنقه ولم يذكر انقلاب لسانه وذلك اعجب مافيه ولم ينظر في كم يضع ولا مقدار مدة حمله وكيف يخرج من بطن أمه نابت الاسنان » .

وأحياناً كان يتعرض له فيقف في تعرضه موقفاً وسطاً دون دفع الخبر او قبوله كقوله [1] :

« وذكر صاحب المنطق ان الطير الكبير الذي يسمى باليونانية (اغتيوليس) يحكم عشه ونيقه ويجعله مستديراً مداخلاً كأنه كرة ورووا انهم يزعمون ان هذا الطائر يجلب الدارصيني من موضعه فيفرش له عشه ولا يعشش الا في اعالي الشجر المرتفعة المواضع ، قال وربما عمد الناس الى سهام فيشدون بها رصاصاً ثم يرمون بها أعشاشها فيسقط عليهم الدارصيني فيلتقطونه و يأخذونه ...

ولست أدفع خبر صاحب المنطق عن خبر صاحب الدارصيني وان كنت لا اعرف الوجه في ان طائراً ينهض من وكره في الجبال او بفارس او باليمن فيؤم ويعمد نحو بلاد الدارصيني وهو لم يجاوز موضعه ولا قرب منه ، وليس يخلو هذا الطائر من ان يكون من الاوابد وان كان من القواطع فكيف يقطع الصحصحان الأملس وبطون الاودية وأهضاب الجبال بالتدويم في الاجواء و بالمضي على السمت لطلب ما لم يره ولم يذقه ، وأخرى فانه لا يخلب منه بمنقاره ورجليه ما يصير فراشاً له ومهاداً الا بالاختلاف الطويل وليس بالوطيء الوثير ولا هو بطعام فأتا وان كنت لاأعرف العلة فلست انكر الامور من هذه الجهة » .

وقد تعرض لغير ارسطاطاليس فتعرض لابي زيد النحوي وحشره في جملة علماء السوء فعابهم بانهم لم يكونوا في تحقيقهم من حذاق المتكلمين كقوله [2] :

« وأما الذين ذكروا في أشعارهم السبع والعسبار فليس في ظاهر كلامهم دليل على ما ادعي عليهم الناس من هذا التركيب المختلف فأدينا الذي قالوا وامسكنا عن الشهادة اذ لم نجد عليها برهاناً .

(١) كتاب الحيوان الجزء الثالث الصفحة ١٦٢ .
(٢) » » » الاول » ٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وللناس في هذا الضرب ضروب من الدعوى وعلماء السوء يظهرون تجويزها وتحقيقها ، كالذي يدعون من اولاد السعالى من الناس كما ذكروا عن عمرو بن يربوع وكما يروي ابوزيد النحوي عن السعلاة التي أقامت في بني تميم حتى ولدت فيهم فلما رأت برقاً يلمع من شق بلاد السعالى حنت وطارت اليهم فقال شاعرهم :

رأى برقا فأوضع فوق بكر فلا يأمًا اسأل وما اغاما

وأنشدني أن الجن طرقوا بعضهم فقال :

أتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلاما

فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم : نحسد الانس الطعاما

ولم أعب الرواية وانما عبت الايمان بها والتوكيد لمعانيها فما اكثر من يروي هذا الضرب على التعجب منه وعلى ان يجعل الرواية سبباً لتعريف الناس حق ذلك من باطله وابو زيد واشباهه مأمونون على الناس الا ان كل من لم يكن متكلماً حاذقاً وكان عند العلماء قدوة واماماً فما اقرب إفساده لهم من إفساد المتعمد لإفسادهم » .

وكان في بعض نقده يعيب طائفة من الناس بوضعهم الموجب من الامور موضع المقرّب منها ، و بانزال الدليل منزلة شبه الدليل كقوله [1] :

« والذين زعموا ان ذكورتها لا تعيش الا سنة يحتاجون الى ان يعرّفوا الناس ذلك وكيف يستطيعون تعريفهم ذلك وقد تكون القرى بقرب المزارع والميازب مملوءة عصافير ومملوءة من بيضها وفراخها وهم مع ذلك لم يروا عصفوراً قط ميتاً » .

والذين زعموا ان البغل انما طال عمره لقلة السفاد والعصفور انما قصر عمره لكثرة السفاد وغلبته لو قالوا بذلك على جهة الظن والتقريب لم يلمهم احد من العلماء والامور المقربة غير الامور الموجبة فينبغي ان يعرفوا فضل ما بين الواجب والمقرب وفرق ما بين الدليل ومشبه الدليل ولعل طول عمر البغل يكون للذي قالوا ولشيء آخر وليس ينبغي ان نجزم على هذه العلة فقط » .

هذه جملة القول في نقده والذي يستخلص من هذا النقد ان الجاحظ لجأ اليه للتنبيه على مواطن الزور في ابواب العلم مما لا يحققه العقل فكأن الجاحظ يقول :

(١) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا اصدّق من الامور الا ما كان واضحًا وهذه خطة (ديكارت) نفسه كما علمتم ذلك .

ولم ينقد الجاحظ للنقد وحده ، انه أجلّ من ذلك وانما نقد وصولاً الى الحقائق فكان مرة يدل على الخرافات ويحذّر منها ومرة يشير الى مزلات أقدام بعض العلماء كما أشار الى إعراض ارسطاطاليس عن استعمال التجربة والعيان والسماع في بعض مباحثه العلمية و كما عاب اباز يد النحوي بانه لم يكن من حذّاق المتكلمين .

وقد كان في بعض نقده يستغني عن الإتيان بالبرهان لان من الامور التي نبّه على بطلانها مايقبله العقل دون برهان .

فغاية الجاحظ في نقده العلمي الوصول الى الحقيقة والحقيقة ضالّة العالِم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحقيق الجاحظ

— ٥ —

« الاستعانة بالعقل »

—«»—

ومن المواطن التي يظهر فيها مقدار دقة فطنته وثقوب عقله موطن الشك فما تنسى قوله في صدر كلامنا على تحقيقه :

« ولا يعجبني الاقرار بهذا الخبر وكذلك لا يعجبني الانكار له ولكن ليكن قلبك الى انكاره أميلَ وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له » .

وهذا الشك قريب من شك (ديكارت) الذي كنت اشرت اليه فقد كنت ذكرت لكم ان (ديكارت) يشك في كل شيء وقد تكون الحياة في نظره حلماً من الاحلام ولكن شكه هذه لا يشبه شك غيره من الفلاسفة فهو يشك في كل شيء ، فقد يفرض ان العالم لا حقيقة له على أمل ان يصل الى حقائق يثبتها البرهان فالشك في مذهبه سبيل الى اليقين .

فاذا قابلنا بين هذين الرأيين : بين رأي الجاحظ وبين رأي (ديكارت) وجدنا فيهما بعض التقارب فالجاحظ يقول : اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له : معنى هذا كله : اعرف الشك لتعرف به اليقين فالشك في نظره سبيل الى اليقين فهو لا يشك في الامور من اجل الشك وحده وانما يشك فيها حتى يصل الى يقين قاهر وكذلك (ديكارت) فانه لا يشك في الامور من اجل الشك وحده وانما يشك فيها على امل ان يصل الى حقائق يثبتها البرهان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكيف يلجأ الجاحظ الى مجرد الشك وهو الذي يقول [١] :

« واعلم ان من عوّد قلبه التشكك اعتراه الضعف » .

فلننظر بعد هذا في أنماط من أقاويله التي ظهرت عليها آثار الشك كالكلام على رؤوس الحيات او كالكلام على لعاب الافاعي او كالكلام على سلامة الفواريج على الافاعي او كالكلام على خلق الفار او كالكلام على اخراج الولد رأسه من بطن أمه .

فمرة كان يشك في الامر و ينفيه لان العلم لايحققه . ومرة كان يشك فيه و يبين السبب الذي من اجله استفاض هذا الامر . وحيناً كان يشك فيه من دون ان يحاول نفيه بالحجة او يوضح علة من علل شيوعه وحيناً كان يشك فيه فيحار في امره حيرة قد لا يجد لنفسه مخرجاً منها ثم يجد هذا المخرج فيرد الامر لانه لم يثبته ظاهر العيان او متظاهر الاخبار .

فمن المواضع التي ظهر شكه فيها قوله [٢] :

وزعم بعض المفسرين ان السنور خلق من عطسة الاسد وان الخنزير خلق من عطسة الفيل لان اصحاب التفسير يزعمون ان اهل سفينة نوح لما تأذوا من كثرة الفار وشكوا سأل ربه الفرج فأمره ان يأمر الأسد فيعطس فلما عطس خرج من منخريه زوج سنانير من ذكر وأنثى خرج الذكر من المنخر الأيمن والانثى من المنخر الايسر فكفاهم مؤنة الجرذان ، ولما تأذوا برائحة نجوهم شكوا ذلك الى نوح فشكى الى الله تبارك وتعالى فأمر ان يأمر الفيل فيسلح فسلح خنازير فكفوهم مؤنة رائحة ذلك النجو .

وهذا الحديث نافق عند العوام وعند بعض القصاص وقد انكرنا ان يكون الفار تخلق الا في ارحام أناثها من اصلاب ذكورها » .

فالجاحظ ينكر خلق الفار الا في ارحام أناثها من اصلاب ذكورها و يشك في ضد هذا الامر لان العلم لا يؤيده .

ومن هذه المواضع التي ظهرت فيها آثار الشك قوله [٣] :

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد (الجزء الثاني الصفحة ٨٤) .
(٢) كتاب الحيوان الجزء الخامس الصفحة ١٠٦ .
(٣) » » » الرابع » ٥٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وقد زعم صاحب المنطق انه قد ظهرت حية لها رأسان فسألت أعرابياً عن ذلك فزعم ان ذلك حق فقلت له : فمن اين جهة الرأسين تسعى ومن ايهما تأكل وتعض فقال : فأما السعي فلا تسعى ولكنها تسعى الى حاجتها بالتقلب كما يتقلب الصبيان على الرمل واما الاكل فانها لتمشي بفم وتتغدى بفم واما العض فانها تعض برأسيها معاً فاذا به اكذب البرية .

وهذه الاحاديث كلها مما يزيد في الرعب منها وفي التهويل امرها ... »

فبعد ان شك الجاحظ في ان يكون للحية رأسان أخذ يقلب النظر في استفاضة هذا الخبر فوجد ان العلة في ذلك الرعب والتهويل .

وبين هذه المواضع قوله [1] :

« وزعم احمد بن غالب قال : باعني حوّاء ثلاثين افعى بدينارين واهدى الي خمساً اصطادها من قبالة القلب في تلك الصحاري على شاطئ دجلة قال : واردتها للترياق فقال لي حين جاءني بها : قل لي من يعالجها ، فقلت فلان الصيدلاني ، فقال : ليس عن هذا سألتك قل لي : من يذبحها ويسلخها قال : قلت هذا الصيدلاني بعينه ، قال : اخاف ان يكون مغروراً من نفسه ، انه والله ان اخطأ موضع المفصل من قفاها وحركته اسرع من البرق فان كان لايحسن ولا يدري كيف يتغفله فيقره نقرة لم يفلح بعدها ابداً ولكني سأتطوع لك بان اعمل ذلك بين يديه قال فبعثت اليه وكان رأسه الحونة فيغفل الواحدة فيقبض على قفاها باسرع من الطرف ثم يذبحها فاذا ذبحها سال من افواهها لعاب ابيض فيقول : هذا هو السم الذي يقتل ، قال : فجالت يده جولة وقطرت من ذلك اللعاب قطرة من طرف قميص الصيدلاني قال : فتفشى ذلك القاطر حتى صار في قدر الدرهم العظيم ثم ان الحواء امتحن ذلك الموضع فتهافت في يده وبقيت الافاعي مذبوحة في الطست يكد بعضها بعضاً حتى امسينا ، قال : وبكرت على ابي رجاء الى باب الجسر أحدثه بالحديث فقال لي : وددت اني رأيت موضع القطرة في قميص الصيدلاني ، قال : فوالله ما رمت حتى مرّ معي الى الصيدلاني فأريته موضعه . واصحابنا يزعمون ان لعاب

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع الصفحة ٣٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأفاعي لا يعمل في الدم الا ان احمد بن المثنى زعم ان من الافاعي جنساً لا يضر الفراريج من بين الاشياء .

ولا ادري اسمع الخبر بن ابعد ، اخبر ابن غالب في تفسيخ الثوب او خبر ابن المثنى في سلامة الفروج على الافعى » .

فهنا يتبين لكم ان الجاحظ اكتفى بانكار الخبر دون ان يبين سبباً من الاسباب .

ومنها قوله [1] :

« وقد زعم صاحب المنطق ان ولد الفيل يخرج من بطن أمه نابت الاسنان لطول مكثه في بطنها وهذا جائز في ولد الفيل غير منكر لان جماعة نساء معروفة الآباء والابناء قد ولدن اولادهن ولهن اسنان نابتة كالذي رووا في شأن مالك بن انس ومحمد ابن عجلان وغيرهما وقد زعم ناس من اهل البصرة ان خاقان بن عبد الله بن الاهتم استوفى في بطن أمه ثلاثة عشر شهراً وقد مدح بذلك وهجي وليس ذلك بالمستنكر وان كنت لم ار قط قابلة تقر بشيء من هذا الباب وكذلك الاطباء وقد رووه كما علمت .

ولكن العجب كل العجب ماذكروا من اخراج ولد الكركدن رأسه واعتلافه ثم ادخالها بعد الشبع والبطنة ولابد اكرمك الله لما اكل من نجو فان كان بقي الولد يأكل ولا يروث فهذا عجب وان كان يروث في جوفها فهذا أعجب وانما جعلناه يروث حيث سموه حماراً وهذا مما ينبغي لنا ان نذكره في خصال الحمار اذا بلغ ذلك الباب ولا أقر ان الولد يخرج رأسه من بطن أمه حتى يأكل شبعه ثم يدخل رأسه ولست اراه محالاً ولا ممتنعاً في القدرة ولا في الطبيعة وارى جوازه مرهوباً غير مستحيل الا ان قلبي ليس بقبله وليس في كونه ظلم ولا عيب ولا خطأ ولا تقصير في شيء من الصفات المحمودة ولم نجد القرآن ينكره والاجماع يدفعه والله هو القادر دون خلقه ولست ابت بانكاره وان كان قلبي شديد الميل الى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا يعرف الا بالعيان الباهر والخبر المتظاهر » .

فالجاحظ في مثل هذا المقام يعمد الى رد الخبر لان العيان الباهر لم يثبته . هذا ما يتعلق ببعض خصائص شكه فلنلجأ الى النظر في العلل التي يجدها لأمر من الامور .

(١) كتاب الحيوان الجزء السابع الصفحة ٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ففي هذا النوع يتبين لنا مقدار تغلغل عقله في الأسرار ومبلغ توفيقه في الإحاطة بهذه الاسرار فلنتخب موضعاً اوموضعين من المواضع التي نستدل بها على نفوذ عقله ·

مرة يشهد الامر فيدوّنه كما يدوّن عالم الطبيعة حادثة من حوادثها ثم يستنبط من هذا الأمر قانوناً عاماً يلجأ اليه كلما جدّ الكلام على الامر الذي دوّنه على نحو استنباط علماء الطبيعة القوانين العامة من الامور الصغيرة التي يجرّبونها ويعاينونها واليكم مثلاً لذلك[1]:

« وربما اكل الانسان الجراد او بعض مايشبه الجراد فتسقط من يده الواحدة اوصدر الواحدة وليس يرى بقربه ذرة ولا له بالذر عهد في ذلك المنزل فلا يلبث ان تقبل ذرة قاصدة الى تلك الجرادة فتروعها وتحاول قلبها ونقلها وجرها فاذا أعجزتها بعد ان بلغت عذراً مضت الى جحرها راجعة فلا يلبث ذلك الانسان ان يراها قد اقبلت وخلفها كالخيط الاسود الممدود حتى يتعاونّ عليها فيحملنها فأول ذلك صدق الشم لما لا يشمه الانسان الجائع ثم بعد الهمة والجرأة على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة واكثر من مائة مرة وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل مايكون ضعفه مراراً غيرها وعلى انها لا ترضى باضعاف الاضعاف الا بعد انقطاع الانفاس ·

فان قلت وماعلم الرجل ان التي حاولت نقل الجرادة فعجزت هي التي اخبرت صويحباتها من الذر وانها كانت على مقدمتهن ، قلنا : لطول التجربة ولانا لم نر ذرة قط حاولت نقل جرادة فعجزت عنها ثم رأيناها راجعة الاّ رأينا معها مثل ذلك وان كنا لا نفصل في العين بينها وبين اخواتها فانه ليس يقع في القلب غير الذي قلنا وعلى أننا لم نر ذرة قط حملت شيئاً او مضت الى جحرها فارغةً فتلقاها ذرة الاّ وافقتها ساعة وخبرتها بشيء فدلّ ذلك على انها في رجوعها عن الجرادة انما كانت لأشباهها كالرائد لا يكذب اهله » ·

ذرة تأخذ عينها جرادة فتحاول نقلها فاذا عجزت عنها ذهبت الى أخواتها فاستعانت بهنّ على حملها · هذا هو الامر الصغير الذي عاينه الجاحظ ، من هذا الامر الذي عاينه استخرج قانوناً عاماً وهذا هو القانون : كل ذرة حاولت نقل جرادة اوغيرها فعجزت عنها استدعت صويحباتها فتعاونّ على نقل هذه الجرادة ·

وقد كنت بينت لكم ان الجاحظ لم يستنبط من تجربته وعيانه وسماعه قوانين عامة ولكنه

(١) كتاب الحيوان الجزء الرابع الصفحة ٣ ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في هذه المرة لم يقصر في استنباط القانون من الامر الصغير ولو فعل هذا الفعل في كل الامور التي جرّبها او عاينها لما نقص تجربته وعيانه شيء ولكان في هذه التجربة وهذا العيان شبه علماء هذا العصر .

ومرةً يمعن في الكشف عن غرائز الحيوان فلا يعاين حركة من حركاته كالانقياد او كالعصيان مثلاً الاّ وضّح اسرار هذه الحركة مصيباً في توضيحه شاكلة الصواب .

فمن كلامه على سلاح اصناف الحيوان[1] :

« وانما تتقرب الشاة بالمتابعة والانقياد للسبع ، تظن ان ذلك مما ينفعها فان الأسد اذا اخذ الشاة لم تتابعه ولم تعنه على نفسها فربما اضطر الاسد الى ان يجرها الى عرينه ، واذا اخذها الذئب عدت معه حتى لا يكون عليه فيها مؤنة وهو انما يريد ان يحميها عن الراعي والكلب وان لم يكن في ذلك الوقت هناك كلب ولا راعٍ فيرى ان يجري على عادته ، وكذلك الدجاج اذا كنّ وقّماً على اغصان الشجر او على الرفوف فلو مرّ تحتها كلب وسنور وكل ثعلب وكل شيء يطالبها فاذا مرّ ابن آوى بقربها لم يبق منها واحدة الا رمت بنفسها اليه لأن الذئب هو المقصود به الى طباع الشاة وكذلك شأن ابن آوى والدجاج يخيل اليها ان ذلك مما ينفع عنده وللجبن تفعل كل ذلك ولمثل هذه العلة نزل المنهزم عن فرسه الجواد ليحضر ببدنه يظن اجتهاده انجى له وانه اذا كان على ظهر الفرس أفلّ كداً وان ذلك اقرب الى الهلاك ولمثل هذه العلة يتشبث الغريق بمن اراد انقاذه حتى يغرقه و يغرق نفسه وهما قبل ذلك قد سمعا بحال الغريق والمنهزم وانهما انما هما في ذلك كالرجل المعافى الذي يتعجب ممن يشرب الدواء من يد أعلم الناس به فاذا اصابته شقيقة او لسعة عقرب او اشتكى خاصرته او اصابه حُصْر او أُمْر شرب الدواء من يد اجهل الخليقة او جمع بين دواءين متضادين » .

فما انقادت الشاة للسبع او للذئب ومارمت الدجاجة بنفسها الى ابن آوى الاّ للجبن فالجاحظ يظهر لنا في هذا المقام في صورة العالم الواقف على غرائز الحيوان .

او قوله[2] :

---

(١) كتاب الحيوان الجزء السادس الصفحة ١٢٥ .

(٢) » » » » » » »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وليس شيء من صنف الحيوان اردى حيلة عند معاينة العدو من الغنم لانها في الاصل موصولة بكفايا الناس فأسندت اليهم في كل امر يصيبها ولولا ذلك لأخرجت لها الحاجة ضروباً من الابواب التي تعينها ... » .

* * *

هذا ماعنّ لنا من الكلام على ناحية جليلة من نواحي الجاحظ واعني بها ناحية العلم وقد احببت قبل ان انتقل الى الكلام على نواحي دينه اوتهكمه اواديه ان اجمل القول في مذاهب تحقيقه حتى تبقى صورته من هذه الجهة ماثلةً لأذهاننا قائمةً في صدورنا .

ارادت طائفة ان لاتجد في الجاحظ الا ناحية واحدة وهي ناحية الفن فمارأت في بعض كتبه وخاصة في كتاب الحيوان الاخصائص فنية وهذا الرأي ناشيء عن امرين : اما عن جهل بمذاهب التحقيق في العلم واما عن تهاون بدراسة الجاحظ من كل اطرافه فليس من المعدلة في شيء ان ننظر الى الجاحظ من ناحية واحدة وان نهمل ناحية اجل وهي ناحية العلم .

ان ماحاضرتكم به حتى اليوم من بعد التمهيد والتوطئة مما لا بدّ منه قد صوّر لكم الجاحظ في صورة العالم على مصطلح هذا العصر .

همّ العالم التنقيب عن الحقيقة وقد يذهب في هذا التنقيب مذاهب مختلفة على حسب العلم الذي ينصرف اليه وقد اخرج الجاحظ مكنونه في التنقيب عن هذه الحقيقة وأظن ان تجريبه على اصناف من الحيوان كالحيات والافاعي والخنافس والعقارب والجرذان لم يكن لمجرّد اللهو والعبث واي لهو في عيان العقارب ام اي عبث في مشاهدة الافاعي فاذا قطع الجاحظ طائفة من اعضاء الحيوان او القى عليه ضرباً من السم او ذبحه وفتّش جوفه وقانصته اودفنه في بعض النبات اوذاقه او بقج بطنه اوجمع أضداده في اناء من قوارير او القى عليه مادة من موادالكيمياء فما كان يفعل هذا واشباهه عبثاً وانما كان يرمي الى غايات بعيدة ، انه كان يرمي الى إدراك الحقيقة من ارشد مسالكها .

فمرةً كان يستعين بحواسّه على الوصول الى هذه الحقيقة فيستعين باللمس او بالذوق او بالرؤية اوبالشم او بسؤال اهل المعرفة والعلم متوثقاً في كل خبر يسمعه متثبتاً في كل كلام يبلغ اليه حتى يكون على هدىً من امره وحتى يعرض هذه الحقيقة في اوضح معارضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا يخامره شك فيها ، واي شك بعد العيان القاهر او الخبر المتظاهر .

ومرة كان يستعين عليها بآلة اكمل من كل آلة وهي آلة العقل .

ولقد أحكم استعمال عقله فرامى دون حياض الحقيقة حتى لا يفسدها شيء من توليد كذاب او من غرائب زور .

فحيناً كان يقف بالمرصاد لكل رجل تحدثه نفسه بخرافة من الخرافات وحيناً كان يحذر الناس من الأباطيل فيدلهم على عيوبها مقتصداً في دلالته لا شتم ولا بذاءة شأن العالم الجليل او يشككهم فيها ثم يخرجهم من ظلمة الشك الى ضياء اليقين .

وكان في بعض الأحوال يلجأ الى توضيح العلل في ابواب العلم فلا يخطئ مواطن الحق .

وفي كل مذهب من هذه المذاهب في تجربته وعيانه وسماعه ونقده وشكه وتوضيحه كان الجاحظ يطلع علينا في صورة العالم الذي يعمل عقله في البحث عن الحقيقة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغلاظة في اللغة

-٢-

« الغليظ »

وهو غليظ وغُلاظ وغالِظ ج غَلَظَة . وعُلابط وعُلَبِط وأَعمّ وعَلَنْدى وعَلْكَدُ وعُلْكُدُ وعُلَكِد وعُلاكِد وغليذ (على الابدال) وعَبَنْجَر وعَبَنٌ وعَبَنّى وعُرابِض وقَشْبَرٌ وحُدُرٌ وأزعب وهي زَعباء ، ومسفوح ومُسَلْهَف وشثن يقال هو شَثْل الاصابع وشَثْنها ومنه قول الراجز :

اوعدني بالسجن والاداهم رجلي فرجلي شثنة المناسم

ويقال اسد شثن البراثن . وحُباجِر وحِبَنْجِر وحِبَجْر ودَخْشَم ودُخُشُمُ ودَخْشَنُ (كأنه موخوذ من الدَخَش وهو الامتلاء من اللحم) وشُنابث وشِمْدارة . ودُلَمز ودُحامِسُ (غليظ سمين) ودُماحِس وطَبْطَر ولَهُوف وكِيح (للمذكر والمؤنث ويقال اسنان كِيح اى غلاظ ونقول كِيح أكْيَح اي خشن غليظ كما يقال يوم ايوم) ومَعْدٌ ، ووَشْبٌ (وهو مأخوذ من قول العرب تمرة وَشْبة اي غليظة اللحاء) وجَرْعب وجَرْعبل وجَشيم وجَشْنٌ وجَشِمٌ وشامِيٌ (الجامىء الغليظ) وجِنعِظ وجِنعاظ (الغليظ الجافي) وجِنعيظ (غليظ أشم) وجافٍ يقال قلم جافٍ اذا كان غليظ القط ورجل جافي الخلقة وجافي الخلق اي كزّ غليظ العشرة خرق في المعاملة متحامل عند الغضب والسورة على الجليس ج جُفاة ، وعُثُلٌ وأنبَخُ وجرعيب وأعْقَف تقول جاءني اعرابي اعقف .

وجأبٌ : يقال كاهل جأب وخاتق جأب ، وجَبَل تقول فلان جبل الرأس والوجه اذا كان غليظهما قليل الحلاوة ، وجَبِل « هذا شيءٌ جَبِل اي غليظ جافٍ » وصَمَكوك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبَجيل وحُناكِل وأخشبُ وزِبَعْري وشِرَنْبَذ وجَحْنش ومُصَوْمِد .

والعُنْجُهُ : الجافي من الرجال ومثله القُباقِب والقُحُّ والعِتْوَلّ والعِلْب والإِزَب . ورجل غُضابُ ، غليظ الجلد . واعرابي محرَّم ، جافٍ فصيح لم يخالط الحضر . وغلام غُنْدُر وغُنْدَر اي سمين غليظ . ورجل ذو جِبْلة اي غليظ . ومُعْثَر غليظ كثير اللحم . وصِيَهْم وصِيَّهْم ، غليظ شديد ضخم . وخُزْخُز وخُزَخِز ، غليظ العضل . وقُمْدود وقُماد وقُمادي وقُمُد وقُمُدّ وقُمُدّان وقُمُدّاني ، غليظ . ونَشَزٌ ، غليظ عبل . وانه رجل ذو بُهْم اي غليظ ومثله الرجل البَكْباك . وذو جراز ، غليظ صلب . وجَهْم الوجه ، غليظه . والجهم الوجه الغليظ المجتمع السمج . والفُلُز ، الرجل الغليظ الشديد . والضُراك الغليظ الشديد عصب الخلق . والضيَّاط ، الغليظ . والعِرَبْض والعِرْباض ، الشديد الغليظ . والعِرْنة ، الجافي الكزّ وقال ابو عمرو هو الذي يخدم البيوت . والبَلْعَث ، الرجل الغليظ الجسم المسترخي . والأُمّان ، العيي الجلف الجافي القليل الكلام ومثله الأُمّيّ . والجَبْهَل ، الجافي . والجُنادِف ، الجافي الجسيم . والوَطْب ، الجافي . والعَشَلّيل ، الجافي الثقيل . والعُنْجُهيّ ، الخشن الجافي . والجِبِنّ ، الغليظ الكز . والقُنابل والقُنْبُل ، الغليظ الشديد ومثله الكُدُمّة . والبَلأز ، الغلام الغليظ . والجُؤشوش ، الرجل الغليظ .

وقالوا مكان صَلَبٌ ، غليظ حجر ومثله ارض صُلْبَة . وانف مُعْرَنْزِم ، غليظ مجتمع . وحمار كَدِم ، غليظ شديد . والبَلْخَص ، الغليظ الكثير اللحم . والحِزاق ، السوار الغليظ . والخُرْشب ، الضائط الجافي . والذِفِرّة ، الحمار الغليظ . والعَدَبَّس الغليظ الضخم . والعِلْبُ ، المكان الغليظ الذي لو مُطر دهراً لم يُنْبِت . والجَباس ، الغليظ القدم . والجَبِلُ ، الغليظ جلدة الراس والعظام ج جُبُل . والجَثَلُ ، ما غلظ وقصر من الشجر — ومن الشعر ، اشده سواداً واغلظه . والجَشْب ، الغليظ من الطعام ومثله الجَشيب والمجشاب والمجشوب . والجشيب ايضاً ، الثوب الغليظ - والسقاء الغليظ الخَلَق . والمُجَعَّد من الحبس ، الغليظ .

والعُرْدُمان ، الشديد الجافي ومثله الغُضَبر والغُضابر والعَجْرَد والعَضَنَّك والعِرْباض والعُرَبِض والعُفُرُ ج أعفار وعِفار . والشَخْزَب والشُخازِب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والإرزَبُّ والصَّتْم والصَّبْصَبُ والصَّبْصاب والصُّباصب والكَدِم والمُكَلْمَدد والمكلندي والجُرائِض والجُرَيْض والجِراض والقَعْوس الغليظ الشديد الظهر من كل شيء وقالوا ناقة عَجرَد وعجرَّدة اي غليظة شديدة وكذا قدم موقوعة وجمل بلنزي وجلنزي .

(الرقبة) والعُرْدُمان ايضاً الغليظ الرقبة ومثله الرَّقَبان والرقباني والأرقب ومنه سمي الاسد ارقب وذلك من الرَّقَب وهو غلظ الرقبة . والفُرانِس والفِرناس والحَبَرْكي والقِسْوز (الغليظ الرقبة القوي) .

(الجنب) والأعكى ، الغليظ الجنبين وهي عكواء . والمُجَرْأِش ، الغليظ الجنب الجافي .

(الانف) والأعبُّ ، الغليظ الانف .

(الجلد) والدبكل ، الغليظ الجلد السمج . والجبهل ، الغليظ الجلدة الراس والعظام .

(السمين) والدُحمُسان والدُحمُساني ، الرجل الشديد السمرة الغليظ السمين . والدُحامِسُ ، الغليظ السمين . والهَمِرُ ، الرجل الغليظ السمين . وقد اغتال الغلام اغتيالاً اذا سمن وغلظ . واوكمت القدم ايكاعاً ، سمنت وغلظت واشتدت . وحَدُر الغلام ، كان حادراً اي سميناً غليظا .

« للبحث صلة »

(النبك) سالم خليل رزق

—«×»—

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وافكار

تعرف اخبار الناس

« وحب الاطلاع عليها »

جاء في كتاب (التراتيب الادارية) ان النبي صلى الله عليه وسلم « كان يسأل الناس عما في الناس » وليس هذا من التجسس المنهي عنه في الشرع ، وانما الغرض منه معرفة الخير والإحسان فيُزداد منهما ومعرفة الشر والإساءة فيحترز منهما ويحتاط لها . وكان بعض الصحابة يخبر النبي (ص) بلز المنافقين فيقول : رحم الله موسى لقد أوذي باكثر من هذا فصبر . ولاريب انه يجوز بناء على هذا إخبار الامام بمايقال عنه . وهكذا كان لعمر عيون على الناس ينقلون اليه أخبارهم كما كان يفعل حذيفة بن اليمان في نقله أسرار المنافقين الى رسول الله (ص) . ومن اللطائف ماروي من ان (ابن غازي) احد علماء المغرب قد عين بعض أصحابه ان يكتب له كل ماجرى له في البلد وماقال وقيل من خميس الى خميس فيطالع ذلك . ويكون ذلك يوم الخميس الذي فيه تفرغ من التدريس . ورووا ان الحافظ ابا العباس المقري اتخذ — وهو مقيم في مصر — رجلاً بنفقته وكسوته ومايحتاج اليه على ان يذهب كل يوم صباحاً فيخترق البلد أسواقاً ومساجد ورحاباً وأزقة ، وكلما رأى امراً او سمع خبراً قصه على ابي العباس في الليل . وروى بعض تلاميذ ابي العباس (الدرعي) ان شيخه المذكور كان كثير السؤال والفحص عن أحوال الناس وفائهم في الأقطار والمدائن قال وكان يسألني عن ذلك كثيراً . فقلت في نفسي مرة : ماللشيخ وللاخبار ؟ لو اشتغل بصلاته وصيامه وسبحته كان أحسن له . قال فلقيني بعد ذلك بقريب وقال لي : المؤمن يسأل عن إخوانه وعن أحوالهم فمن كان منهم في خير دعا له بالزيادة والهناء ومن كان في شر وفقر دعا له بخير ورحمة . ويقال ان الشيخ الشعراني كان في تعرف أحوال الناس على قدم الشيخ الدرعي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي طبقات ابن سعد عن موسى بن طلحة قال : رأيت عثمان بن عفان والمؤذن يؤذن (يعني يوم الجمعة) وهو يحدث الناس يسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار . ومن طريق آخر انه يجلس على المنبر فيؤذن المؤذن وهو يتحدث يسأل الناس عن أسعارهم وعن قوامهم وعن مرضاهم ثم يقوم فيخطب . اه

هذا وفي نشوار المحاضرة (جزئه الثاني) الذي مازال مخطوطاً خبر عن بعض رجال الدولة العباسية يدل على مبلغ عنايتهم بالاخبار وتقصي أحوال الناس وسيرهم قال :

حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري : شيخ كان من أهل خامية ؟ من أعمال النهروان قد أقام ببغداد سنين وكان مشهوراً بصحبة ابي عبدالله ابن ابي عوف قال : كنت ألزم ابن ابي عوف سنين لجوار بيننا ومودة . لا أسأله حاجة : لانها لم تكن تعرض لي وكنت أتخفف بين يديه في حوائج ينفذني فيها . وكان رسمي في كل ليلة أجيئه بعد العتمة وقد صلى ودخل منزله . فحين يراني يمد رجله في حجري فاغمزها وأحادثه فيسألني عن الاخبار والحوادث ببغداد . وكنت أسأل عنها وأتطلبها من كل موضع واجيئه بها وأخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات ومن وُلد ومن خاصم ومن ورث ومن يُرجف به الناس وأخبار الجيران وبكل غث وسمين الى ان ينعس فاذا نعس قبض رجله فقمت الى بيتي وقد مضى ثلث الليل او بعضه او أقل . وجرى الامر على هذا سنين . فلما كان ذات يوم جاءني سقطي [1] كان يعاملني فقال قد دُفعتُ الى شيء ان تم لي افتقرت . فقلت ماهو ؟ فقال رجل كنت أعامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهنني عقدَ جوهر قُوِّم بالف دينار لي ان يفتكّه بعد شهور او أبيعه . وأذن

(١) بائع السقط وهو الرديء من متاع البيت نحو الابرة والفأس والقدر :

وما للمرء خير في حياة اذا ماعد من سقط المتاع

اولعل صوابه السفطي (بالفاء) نسبة الى السفط وهو مايعبّي فيه الطيب وماأشبهه من أدوات النساء . ويكون المراد هنا بائع الطيوب وسائر الحاجات النسائية وهو المسمى في عصرنا بالافرنسية (nouveauté) وانما رجحنا ان يكون هذا هو المراد لان السفطي المذكور في هذا الخبر تجمّع له مع بعض عملائه الف دينار . والمتاجر بحاجات النساء وأدواتهن ووسائل تطريتهن — خليق بان يملك الألوف من الدنانير على العكس من بائع الابرة والفاس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لي في ذلك فلما كان امس وجه (مؤنس الفحل صاحب الشرطة) من كَبَسَ دكاني وفتح صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل . فقلت له لا تفكر في هذا فاني أخاطب (اباعبدالله بن ابي عوف) فيلزمه رده صاغراً . قال وانا مُدِلٌّ بابن ابي عوف لمكاني منه . ومكنته من المعتضد (الخليفة) . فلما كان تلك الليلة جئته فمدّ رجله في حجري على الرسم . وحادثته وعرفته الأخبار وقلت له في جملتها أمر السقطي مع مؤنس (رئيس الشرطة) ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجبُ الناس حقاً عليّ ولا بد والله من تفضلك ياسيدي واعتنائك في امره وإلزام مؤنس (رئيس الشرطة) رد العقد .

قال ما انا وهذا ؟ أعادي صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف استجرأتَ ان تعرّضني لمثل هذا وتسألني فيه ؟ وكأني بك وقد قلتَ ابن ابي عوف صديقي ألزمه رد هذا . ولم تُشفق على جاهي وكأنّ صلاح حال السقطي أحب اليك من صيانة جاهي . ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد عليّ من هذا أعظم مورد . وقلت في نفسي : هذا رجل قد خدمته كذا وكذا سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد على اني ما سألته قط حاجةً ولا احتجت اليه في شيء ولا له عليّ رزق ولا إفضال يلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل هذا ؟ ! شهد الله لا دخلت له داراً بعدها ابداً . وامسكتُ وجلست لا أتكلم . ثم قمت قبل الوقت الذي كنت أقوم فيه . وعدت الى منزلي منكسراً مغموماً . فلما كان من الغد بكرتُ (١) لئلا يجيئني الرجل (السقطي) بسبب حاجته فأفتضح عنده . ولم أدخل ببتي الى وقت المغرب . ثم جئتُ فصليت وطرحت نفسي على سريري واعتقدت أنني لا أمضي اليه . فلما صليت العتمة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ يقرأ عليك السلام و يقول لمَ تأخرت الليلة ؟ ان كنت معافيً فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت أمضي الليلة ثم أنقطع . فحين دخلت اليه ورآني مدّ رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش (٢) عندك من الأخبار ؟ فأقبلت أحدثه بحديث غثّ متكلّف متصنّع . فلم يزل يصبر على

---

(١) بكرت اي نزلت من داري باكراً .

(٢) ايش منحوتة من اي شيء وهي من كلمات عامتنا اليوم لكنها مع هذا كثيرة الاستعمال في كلام الفصحاء الاقدمين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك ساعة ثم قبض رجله فقمت فقال : يابابكر[١] انظر ايش تحت المصلّى[٢] واذا برقعة في قرطاس فأخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها: «يامؤنس جسرت على قصد دكان رجل» « تاجر يعرف بفلان وفتحت صندوقه واخذت منه عقد جوهر قيمته الف دينار وانا في الدنيا؟ » « والله لولانها اول غلطة غلطتها ماجرى في ذلك مناظرة[٣] . اركب بنفسك الى دكان» « الرجل (السقطي) حتى ترد العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » .

فقلتُ لابي عبد الله ايش هذا ياسيدي ؟ فقال خطّ المعتضد (الخليفة) الى مؤنس (رئيس الشرطة) بما أردته : مثّلتُ بين وجدك وعتبك مع وزن بقاء الحال مع مؤنس رئيس الشرطة — كما هي — وبين رضاك وقضاء حقك وايحاش مؤنس فاخترتُك عليه فأخذتُ خط امير المؤمنين بماتراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما أمره به . فقبّلتُ رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا أعقل . وجئت الى السقطي واخذت بيده ومضينا الى مؤنس وسلّمت التوقيع اليه .

فحين قرأه اسودّ وجهه وارتعد حتى سقطت الرقعة من يده . ثم قال « يا هذا : الله بيني وبينك . هذا شيءٌ ماعلمتُ به وتموّه عليّ فألاّ تظلمتم اليّ فان لم أُنصفكم فالى الوزير . ماهذا ؟ بلّغتم الأمر الى امير المؤمنين من أول وهلة !! » قال وانتشطت[٤] فقلت « بعملك جرى والعقد معك » قال : فأحضر العقد ، قال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل (السقطي) بطلان مادعاه . فقلت لاتفعل . فقال خذوا الف وخمسمائة دينار . فقلت والله لو أعطيتنا الف الف دينار ما رضينا او تركب بنفسك الى الدكان والعقدُ معك فترده الى الصندوق ولانكذّب انفسنا . اوترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبه حتى وقف على دكان (السقطي) ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع الالف دينار وارتجعه . « المغربي »

(١) قوله يابابكر باسقاط همزة (أب) وكانوا قديماً يصنعون كذلك في همزة (اب) المنادى في لغتهم الدارجة وكذا اليوم في لغتنا . (٢) «المصلى» سجادة الصلاة حيث كان يصلي . (٣) ماجرى في ذلك مناظرة اي محاورة ومراجعة بل كنت أوقعت بك .

(٤) قوله فانتشطت (من الانشوطة) اي كأنني كنت موثقاً في أنشوطة حبل ثم حلّت عني واجترأت على الجواب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

زياد بن ابي سفيان

جاءنا من الاستاذ (ابيان) وصف درهم ساساني اسلامي تاريخه سنة ٢٤ هـ . فرغب ان يطلع عليه قراء مجلة المجمع العلمي العربي خدمة للتاريخ .

وهذا وصف الدرهم المذكور :

شكل (١)

شكل (٢)

(وجهه) شكل ١ سماوة كسرى (اي رسم كسرى النصفي الاعلى) .

على جهة اليمين كتابة فهلوية : (كد افزود) .

على جهة اليسار كتابة فهلوية : (زياد بن ابي سفيان)

على حاشية الدرهم بخط كوفي : (بسم الله)

(ظهره) شكل ٢ شخصان بينهما مشعل

على جهة اليسار التاريخ بخط فهلوي : (١٣) الموافق لسنة ٢٤ هـ .

على جهة اليمين محل الضرب بخط فهلوي : (شابران او شُبرقان) .

قال البلخي في تاريخه (كتاب البدء والتاريخ جلد ٦ ص ٣) : « قالوا ان معاوية اول من ادعى الى غير ابيه فادعى زياداً اخاً له لما رأى من جلده ونفاذه . وزياد هو ابن عبيد من ثقيف وأمه سمية » .

يظهر ان هذه العبارة غير مستقاة من مصدر تاريخي واظنها غير صحيحة وعبارة الدرهم المذكور هي فصل الخطاب لانها تثبت ان معاوية وزياداً هما حقيقة أخوان لأب واحد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فان صح ان سنة (١٣) هي التاريخ اليزدجردي الموافق لسنة ٢٤ هـ . فيكون زياد قد سبق له الانتساب الى ابي سفيان قبل سبعة عشر سنة من خلافة معاوية ويتضح من هذه الوثيقة المعاصرة لذاك العهد ان زياداً كان يسمى زياد بن ابي سفيان قبل تولية معاوية اي في زمن خلافة عثمان .

وقال ابن الطقطقي في كتابه الفخري ص : ١٠٠ « فكتب (اليه معاوية) اليه (اليه زياد) كتاباً يتهدده و يعرّض له بولادة ابي سفيان و يقول له انت اخي ».

وذكر (هوبار) في الجزء الاول من تاريخ العرب ص ٢٦ ماترجمته :

« لم يتردد معاوية بالاعتراف بزياد انه ابن ابيه ابي سفيان والحقه بنسبه » .

فقول الطقطقي وهوبار المتقدم ذكرهما هو الصواب واصح مما نقله البلخي . فعبارة الدرهم هي وثيقة تاريخية تثبت قولهما بان زياداً هو ابن ابي سفيان واخو معاوية .

ابيان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

—*—

الاعلان بالتوبيخ

« لمن ذم التاريخ »

طبع بمطبعة الترقي بدمشق ص ١٧٠

الحافظ السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن مؤلف هذا الكتاب (المتوفى سنة ٩٠٢ هـ) من اشهر رجال العلم والتصنيف في القرن التاسع . وهو صاحب التاريخ المسمى (الضوء اللامع في رجال القرن التاسع) الذى مازال مخطوطاً في خمسة أجلاد . ولعمري ان طبع هذا الكتاب هو أعظم عمل يخدم به التاريخ الاسلامي والتعريف برجاله الذين عاشوا في عصوره الوسطى . و يظهر ان العلامة السخاوي كان شديد العناية بفن التاريخ إذ أن معظم مصنفاته تحوم حول هذا الفن . وكأن أناساً من معاصريه لمزوه او لمزوا فن التاريخ وزعموا انه دون غيره من العلوم . فقام المؤلف ووضع كتابه هذا (الاعلان بالتوبيخ) وضمنه فضل التاريخ وفوائده والمصنفين فيه والمقارنة بين مصنفاتهم ونقدها وكل ما له علاقة بفن التاريخ . فصح فيه ما قاله الاستاذ احمد باشا تيمور (رحمه الله) : ان كتاب (الاعلان بالتوبيخ) هو تاريخ للتاريخ في الاسلام » .

عمد الى طبع هذا الكتاب الأديب (السيد حسام الدين القدسي) وقد استخرج نسخته من نسختين ظفر بهما في خزانة كتب العلامة احمد باشا تيمور . وقد قدم لها مقدمة ضمنها ترجمة مؤلفها السخاوي . ولا يستغني عن مطالعة هذا الكتاب مؤرخ ولا محدث ولا كاتب في تاريخ الاسلام . وان المتفصح له يجد فيه فوائد قلما يظفر بها في غيره . ومما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لوحظ فيه ان المؤلف استعمل كلمة (اختيار) بمعنى المتقدم في السن (ص٩) وكنا نحسب ان هذه الكلمة بهذا المعنى انما جاءتنا من الاتراك العثمانيين المتأخرين . وكأنهم يريدون بها ان هذا المسن الهرم أصبح مختاراً لرحمة الله وسكنى جنته . والشيخ المؤلف كان يعيش في مصر في زمن لم يكن الأتراك العثمانيون استولوا عليها بعد . فالكلمة اقدم مما نظن .

وفي صفحة (٣٤) ذكر السبب في وفاة ابن مالك صاحب الألفية نزيل دمشق فقال انه كان خطيباً في بعض قرى دمشق فمارضه بعض جهلتها وانتزع الخطابة منه فشق عليه الامر . ثم انه صلى الجمعة في المسجد وبعد ان نزل ذلك الخطيب عن المنبر سأله ابن مالك عن مخرج الألف يعني مخرجها من الفم وهو سؤال في علم التجويد لا يحسن ان يجهله امام ولا خطيب . فتحير الخطيب وظن انه يكلمه بالأعجمية . فما كان منه الا ان شرع يسرد له حروف الهجاء : ألف باء تاء ثاء حتى استوفاها كلها فصاح أنصار الخطيب من العامة مسروراً قائلين : ها هو قد سئل عن مسألة فأجاب بتسع وعشرين . فالتفت ابن مالك يمنة ويسرة فلم يجد له ناصراً فمات بعد ايام يسيرة .

« المغربي »

النواة في حقول الحياة

هذا الكتاب لمؤلفه الاستاذ السيد محمد حبيب العبيدي الموصلي في نيف ومائتي صفحة تضمنت زبدة ماينبغي ان يقال في الأخلاق الفاضلة من حيث انها دعامة للاجتماع الاسلامي خاصة والانساني عامة . وقد أراد بتسمية كتابه بالنواة في حقول الحياة ان مضامينه اذا قرأها الناشئون كانت نواة طيبة تثمر لهم من سعادة الحياة ما يفيدهم أفراداً ومجتمعين .

واذ كانت الاخلاق الفاضلة لا بد ان تقوم على الاعتقاد بالله قدّم المؤلف بحث الاعتقاد والنظر في الكائنات على الأبحاث الاربعة التي بنى عليها كتابه ثم قفّى على ذلك ببحث الأخلاق ونتائجها . ولا يخفى ان الأخلاق انما تتكون او تستمد من البيئة التي ينقلب فيها الانسان فلم يدع المؤلف عاملاً من عوامل البيئة ومؤثراتها الا ذكره من مثل (العائلة) و (المدرسة) و (المعاشرين) و (المصنفات) و (الصحف) و (المجلات) وغير ذلك .

واكبر عوامل البيئة (الدين) و (الحكومة) ولذلك عقد المؤلف بحثين لهما . ولم يبحث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في البيئة بحثاً نظرياً محضاً بل بحث فيها من حيث شؤونها التجر يبية التي ينبغي ان يعمل بها أبناء الأوطان ليكونوا وطنيين حقيقيين . وفي ذيل الصفحات تعليقات واضافات معظمها وقائع جرت للمؤلف فكان الاستشهاد بها عاملاً على زيادة الايضاح لمباحث الكتاب والأمتاع بفوائده فالشكر الجزيل للمؤلف الفاضل . « له »

الآداب العربية وتاريخها

« تأليف جرجس كنعان طبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٣١ »

« في ٦٢٠ صفحة »

مؤلف الكتاب هو أستاذ للآداب العربية في (كلية الشرق في طرطوس) من بلاد (العلويين) فهو اذا كتب انما يكتب عن علم يمده عمل ، وعمل يغذيه علم ، ولذا كان لكتابه قيمة وفائدة في نفوس الأدباء وقد رتبه مطابقاً لمنهاج البكالوريا الذي تقرر السير عليه في الجمهورية اللبنانية والدولة السورية . فقسم عصور الشعر والنثر او الأدب عامة الى العصر الجاهلي فالأموي فالعباسي وقسم العباسي الى أدوار حتى بلغ العصر الأخير ودعاه (عصر الانبعاث) وقد تتبع رجال كل عصر من هذه العصور فترجم لهم — من الشفرى في الأقدمين — الى نجيب حبيقة في المعاصرين . والكتاب جمع بين غزارة المادة وحسن التبويب وخلوص النية في خدمة الوطن العربي ، ومن آثار ذلك قوله في مقدمة الكتاب « ولا يعرف التاريخ أدباً عالمياً قوياً شديد التأثير كالأدب العربي ففيه صهر الأدب الآري مع الأدب السامي وأصبح عنوان رقي العالم مدة عشرة قرون الخ » .

وهناك مواضع للانتقاد ليست بذات بال وهي مغفورة في جنب الاتقان والعناية الملموسة في كل جانب من جوانب الكتاب فنلفت اليه طلاب الآداب العربية عامة والبكالوريا خاصة فان فيه شفاء وبلاغاً . « له »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن زيدون

- ٢ -

كتابة ابن زيدون

(أ) طريقته فيها — كانت طريقة كتابة الاندلسيين منذ عصر الناصر والمستنصر جارية على أسلوب ابن العميد وحلبته من أمثال الصاحب بن عباد والبديع والخوارزمي والصابي ومن تابعهم من أمثال الحريري والعماد والاصفهاني . وكان الكاتب الاندلسي الذي ينسج على منوالها وان حل المأثور من النظم وضمن بعض القرآن والحديث لا يغلب ذلك على قوله فنفقد فيه صورة نفسه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التشبيهات الرائعة والتعليلات الحسنة ثم هو لا يخرج عن التزام السجع غالباً .

وابن زيدون راعى هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فاما ماراعاه في كتابته منها فهو :

١ — حل المنظوم من مشهور الابيات .

٢ — الاحتجاج والاستشهاد بكثير من هذه الابيات مستعملاً لها استعمال الأمثال فلا ينسبها الى قائلها .

٣ — الاقتباس من القرآن الكريم او الحديث بلفظها او تغيير بعض نظمها .

٤ — تضمين الحكم والأمثال بلفظ اصحابها او بتغيير في نظمها .

واما ماخالف فيه فهو :

١ — عدم التزام السجع .

٢ — الاستكثار من أمثال العرب القديمة استكثاراً كاد يعد قوله الخاص بجانبه ضائعاً وبخاصة الغريب من هذه الامثال .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ — الاستكثار جداً من ذكر اسماء رجال التاريخ المشهورين .

٤ — الاستكثار جداً من اسماء الوقائع الشهيرة في التاريخ .

٥ — الاستكثار من الجمل المترادفة المنسوجة على مثل واحد في المعنى الواحد حتى يتكون منها فصل طويل يشغل فراغاً كثيراً من الرسالة بحيث لو اقتصر على فقرة واحدة من الفقر المتكررة في المعنى الواحد لنزلت الرسالة الى خمسها او سدسها .

وهذه الطريقة غلبت على كتابته وهي على رسالتيه الجدية والهزلية أغلب ولا سيما الهزلية .

(ب) منزلته فيها — اشتهر ابن زبدون عند المغاربة والمشارقة بانه من بلغاء الكتاب والشعراء ، فاما الشعر فلا جدال في استحقاقه فيه منزلة عليا ، واما الكتابة فلا ستحقاقه ذلك الصيت الذائع فيها تأويل وتعليل يخرجان عن حد بلاغة الكتابة في ذاتها الى امور خارجة عن جوهر الاجادة وذلك ان كتابته اشتهرت بين الناس لامرين :

اولاً — انها ليست على منوال كتابة الاندلسيين في عصره بل هي مخالفة لها في بعض الصور . وصدور العمل المخالف لعمل الناس من رجل متوسط في الحال لافت بذاته للانظار ، باهر للنفوس ، فكيف به لو صدر عن ذي شأن نبيه بمنصب رفيع ونسب عريق وجاه عريض وصيت ذائع في السياسة والادب والشعر وحسن المحاضرة والمنادمة .

وثانياً — انها باهرة لانمعانيها وروعة أساليبها وشدة حوكها في نفس قارئها بل بما اشتملت عليه من وفرة التضمين والاستشهاد والوقائع واسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في الصدور ، ويشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع ، ويكبر من شأنها هي ، اذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بمأثور الاقوال ، معرفة بكثير من حوادث التاريخ واسماء الابطال ، بحيث اذا حفظ ناشئ متأدب رسالة منها أودعت صدره زبدة اطلاع كثير وبحث طويل ، فكأن شهرته آتية من طريق التثقيف والتعليم ، فتكون في الأدب أشبه بمتن من متون العلم كثير المسائل والأحكام وجيز العبارة ، وهذا السبب بعينه هو سبب شهرة مقامات الحريري ، وبعض القصائد المحتوية على كثير من أسماء الرجال وحوادث التاريخ والحكم والأمثال ، كمقصورة ابن دريد ورائية ابن عبدون في رثاء دولة بني الافطس ونونية الرندي ولامية ابن الوردي ونونية البستي ونحوها وكلها عظيمة الاثر في التعليم والتأديب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذاتها وحسن تأثيرها في النفس حتى تستجيب النفس لداعيها ، وتقبل على قائلها . ولذلك تجد رسالة ابن زيدون الجدية التي استعطف بها جمهوراً لم تؤد ماوضعت له .

ولانعني بكلامنا هذا ان الرجل كان قليل الخاطر ، اوضعيف الارتجال ، فكل من تعرض لذكر اخباره يصفه بقوة العارضة وسرعة البديهة والارتجال ، وانه كان في مجلس ولادة يرتجل المقطعات الشعرية البليغة ويحاضر بالنكت النادرة والاجوبة المسكتة . ودفن بعض حرمه فوقف للناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما أجاب احداً بما أجاب به غيره ، وتلك غاية لا تدرك .

وانما خلق الرجل شاعراً مطبوعاً واضطرته الوزارة الى الترسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر اشبه منها بالنثر . واكثر المغاربة لا يتحدثون الا في شعره على عكس المشارقة .

* * *

رسالته الجدية

هذه الرسالة أشهر رسائله وابلغها ، واكثرها عائدة على المتعلمين الذين يحفظونها لتنوع فصولها وتعدد الاغراض التي رمت اليها ، والمعاني التي لوّحت بها ، على ماأفانته من أمل كانبها ، وماحُرمته من روعة التأثير في النفس .

وهذه الرسالة بعث بها من السجن الى جهور يستعطفه بها ولكنه مزج الاستعطاف بكثير من الزهو والامتنان ، واستفظاع العقاب على ذنب متوهم على طريقته الكتابية التي وصفناها آنفاً .

واذا حللنا هذه الرسالة الى عناصر الاغراض التي تألفت منها وجدنا انها لا تعدو عشرة أغراض تؤدي في عشرة أسطر الا ان كثرة الجمل المترادفة الأسلوب والصورة زادت في ذرعها طولاً .

وذلك انه ناداه بالفاظ السيادة اولاً ، ثم اعتذر له عن نكبته اياه بعدما احس الجماد بله الانسان بصدق خدمته له وثنائه عليه ، بان عمل الخير قد يعود على صاحبه بالشر ، واول هذه المقابلة بانها صادرة عن حسن نية وقصد تأديب ، ثم اخذ يستريث العفو ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يستفظع هذا العقاب الذي كان بعضه كافياً لردع الأبالسة ، وكبار الفتاك والخارجين على الأنبياء والأئمة والدين ، مع ان المسألة لاتخرج عن وشاية حساد سمع جوهر لهم فنكى وليه الذي نوّه بذكره . ثم اخذه الزهو فذكر انه كان في مكنته ان يستبدل بخدمته خدمة من يرحب به من الملوك ، غير انه عز عليه مفارقة وطنه ومولاه القديم ، ثم عوذ نفسه من يكون معه كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وناشده العتبي حتى توقع الفكاك . ثم استملح نثر هذه الرسالة ورأى ان يستلحقها بقصيدة فكانت هذه في رأينا آنق لفظاً واعذب مورداً واطبع اتساقاً .

وهاك الرسالة :

الرسالة الجدية لابن زيدون

« كتبها لابن جهور »

يا ولاي وسيدي الذي ودادي له ، واعتمادي عليه ، واعتدادي به ، ومن ابقاه الله تعالى ماضي حد العزم ، واري زند الامل ، ثابت عهد النعمة ، ان سلبتني اعزك الله لباس انعامك ، وعطلتني من حلي ايناسك ، واظمأتني الى برود اسعافك ، ونقضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك . وسمع الاصم ثنائي عليك ، واحس الجماد باسنادي اليك . فلاغرو قد يغص بالماء شاربه و يقتل الدواء المستشفي به ، و بؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمني في أمنيته . والحين قد يسبق جهد الحريص .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

واني لاتجلد ، وأري الشامتين اني لريب الدهر لاأتضعضع «فأقول» هل أنا ألا يد أدماها سوارها . وجبين عض به اكليله . ومشرفي الصقه بالارض صافله . وممهر يعرضه على النار مثقفه . وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس احياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه . وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي . وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع . ولن يرهبني من سيدي ان ابطأ سيبه . اوتأخر غير ضنين غناؤه . فأبطأ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدلاء فيضاً املؤها . واثقل السحائب مشياً أحفلها . وانفع الحيا ما صادف جدبا . والذ الشراب ماأصاب غليلا . ومع اليوم غد ، ولكل اجل كتاب ، له الحمد على اهتبـاله . ولا عتب عليه في اغفاله :

فان يكن الفعل الذي ساء واحداً فافعاله اللاتي سررن الوف

« واعود فأقول » ما هـذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذي لم يف به احتمالك ، ولا أخلو من ان اكون بريئاً فأين العدل ، او مسيئاً فأين الفضل .

الا يكن ذنب فعدلك واسع اوكان لي ذنب ففضلك اوسع

حنـانيك قد بلغ السيل الزبى . ونالني ماحسبي به وكفى . وماأراني الا لو أمرت بالسجود لآدم فابيت واستكبرت . وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي الى جبل يعصمني من الماء ، وأمرت ببناء الصرح لعلي اطلع الى آله موسى ، وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت ، وقدت الفيل لابرهة ، وعاهدت قريشاً على مافي الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت الى العير ببدر ، وانخذلت بثلث الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة ، وجئت بالإفك على عائشة الصديقة ، وأنفت من إمارة أسامة ، وزعمت ان بيعة ابي بكر كانت فلتة ، ورويت رمحي من كتيبة خالد ، ومزقت الاديم الذي باركت بدالله عليه ، وضحيت بالاشمط الذي عنوان السجود به ، وبذلت لقطام :

ثلاثة آلاف وعبداً وقينة وضرب علي بالحسام المسمم

وكتبت الى عمرو بن سعد ان جمجم بالحسين ، وتمثلت عنـدما بلغني من وقعة الحرة :

ليت أشياخي ببدر علموا جزع الخزرج من وقع الاسل

ورجمت الكعبة ، وصليت العائذ على الثنية — لكان فيما جري علي مايحتمل ان يسمى نكالاً ، و يدعى ولو على المجاز عقابا :

وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولاذنب الا نميمة أهداها كاشح ، ونبأ جاء به فاسق ، وهم الهازون المشاؤون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا ، والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحا والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ماغششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت بأساً منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك ، فنهم عبث الجفاء باذمتي ، وعاث العقوق في مواتي ، وتمكن الضياع من وسائلي ، ولم ضاقت مذاهبي ، واكدت مطالبي ، وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب ، وانى غلبني المغلب ، وتخرعليّ العاجز الضعيف ، ولطمني غير ذات سوار ، ومالك لم تمنع مني قبل ان أفترس ، وتدركني ولما أمزق ، ام كيف لا تنضرم جوانح الاكفاء حسداً لي على الخصوص بك ، وتنقطع انفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك وقد زانني رسم خدمتك ، وزهاني وسم نعمتك ، وأبليت البلاء الجميل في سماطك وقمت المقام المحمود على بساطك :

ألست الموالي فيك غرّ قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل انجما

ثناء يظل الروض منه منوراً ضحى ويخال الوشي فيه منمنما

وهل لبس الصباح الا برداً طرزته بفضائلك ، وتقلدت الجوزاء الا عقداً فصلته بمآثرك ، واستملى الربيع الا ثناء ملأته بمحاسنك ، وبث المسك الا حديثاً اذعته في محامدك ، مايوم حليمة بسر ، وان كنت لم اكسك سلباً ، ولاحليتك عطلا ، ولا وسمتك غفلا ، بل وجدت آجراً وجصاً فبنيت ، ومكان القول ذا سعة فقلت ، حاش لك ان أعد من العاملة الناصبة ، واكون كالذبالة المنصوبة تضيء للناس وتحترق . فلك المثل الاعلى ، وهو بك وبي فيك اولى . ولعمري ان صريح الرأي ان اتحول اذ بلغتني الشمس ونبا بي المنزل واصفح عن المطامع التي تقطع اعناق الرجال ، فلا استوطن العجز ، ولا اطمأن الى الغرور . ومن الأمثال المضروبة ، خامري ام عامر ، واني مع المعرفة ان الجلاء سباء والنقلة مثلة :

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسحبا

وتدفن منه الصالحات وان يسيء يكن ماأسا كالنار في رأس كبكبا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عارف ان الادب الوطني لا يخشى فراقه . والخليط لا يتوقع زياله . والنسيب لا يجفى . والجمال لا يخفى . ثم ما قران السعد للكواكب ابهى اثرا . ولا اسنى خطرا . من اقتران غني النفس به . وانتظامها نسقاً معه . فان الجائز لهما . الضارب بسهم فيهما . وقليل ماهم ابنا توجه ورد منهل بر ، وحط في جناب قبول . وضوحك قبل انزال رحلة وأعطي حكم الصبي على اهله :

وقيل له اهلاً وسهلاً ومرحبا فهذا مبيت صالح ومقيل

غير ان الوطن محبوب . والمنشأ مألوف . واللبيب يحن الى وطنه . حنين النجيب الى عطنه . والكريم لا يجفو ارضاً فيها قوابله . ولا ينسى بلداً فيها مراضعه . قال الاول :

احب بلاد الله ما بين منعج الي وسلمى ان يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تمائمي واول ارض مس جلدي ترابها

هذا الى مغالاتي بعقد جوارك . ومنافستي بلحظة من قربك . واعتقادي ان الطمع في غيرك طبع . والغنى من سواك عنا . والبدل منك اعور . والعوض لفا :

واذا نظرت الى امير زادني ضناً به نظري الى الامراء

وكل الصيد في جوف الفرا ، وفي كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار ، فما هذه البراءة ممن يتولاك ، والميل عمن لا يميل عنك ، وهلا كان هواك فيمن هواه فيك . ورضاك لمن رضاه لك :

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

أعيذك ونفسي من ان اشيم خطّيا ، واستمطر جهاماً ، واكدم غير مكدم ، واشكو شكوى الجريح الى العقبان والرخم ، فما ابست لك الالتدر ، وما حركت لك الحوار الا لتحن ، وما نبهتك الا لانام ، وما سريت اليك الا لاحمد السري لديك ، وانك ان شئت عقد امر تيسر ، ومتى اعذرت في فك اسري لم يتعذر . وعلمك محيط بان المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة . وفضل الجاه يعود به صدقة .

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

لعلي ان التي العصا بذراك ، و يستقر بي النوى في ظلك ، واستأنف التأدب بادبك والاحتمال على مذهبك ، فلا اوجد للحاسد مجال لحظة ، ولا ادع للقادح مساغ لفظه ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والله مبشرك من أطلابي بهذه الطلبة ، واشكاني من هذه الشكوى بصنيعة تصيب منها مكان المصنع ، وتستودعها احفظ مستودع ، حسبما انت خليق له ، وانا منك حري به ، وذلك ببده وهين عليه ، ولما توالت غرر هذا النثر واتسقت درره ، فهز عطف غلوائه ، وجر ذيل خيلائه ، عارضه بالنظم مباهياً ، بل كابده مداهياً ، حين اشفق ان يستعطفك استعطافه وتميل بنفسك الطافه : فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة له ، فما زال يستكد الذهن العليل ، والخاطر الكليل ، حتى زف اليك عروساً مجلوة في اثوابها ، منصوصة بحليها وملابها وهي :

الهوى في طلوع تلك النجوم ... والمنى في هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشي ... لو يدوم السرور للمستديم
وطر ماانقضى الى ان تقضى ... زمن ما ذمامه بالذميم
اذ ختام الرضا المسوغ مسك ... ومزاج الوصال من تسنيم
وغريض الدلال غض جنى الصبـ ... ـوة نشوان من سلاف النعيم
طالما نافر الهوى منه غر ... لم يطل عهد جيده بالتميم
زار مستخفياً وهيهات ان يخـ ... ـفي سنا البدر في الظلام البهيم
فوشي الحلي اذ مشي وهفا الطيـ ... ـب الى حسن كاشح بالنسيم
ايها المؤذني بظلم الليالي ... ليس يومي بواجد من ظلوم
قمر الافق اذ تأملت والشمـ ... ـس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو ... بالمصاب العظيم نحو العظيم
بوأ الله جهوراً شرف السو ... دد في السر واللباب الصميم
واحد سلم الجميع له الاء ... ـر فكان الخصوص وفق العموم
قلد العمر ذا التجارب فيه ... واكتفى جاهل بعلم العليم
خطر يقتضي الكمال بنوعي ... خلُق بارع وخلق وسيم
اسوة الروض من بطيبك يحظي ... نظري ما اعتمدته وشميمي
أيهذا الوزير ها انا اشكو ... والعصا بدء قرعها للحليم
ما عنانا ان يأنف السابق المر ... بط في العتق منه والتطهيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وثواء الحسام في الجفن يثني منه بعد المضاء والتصميم
أفصبر مئين خمس من الايا م ناهيك من عذاب أليم
ومعنى من الضنى بهناة نكأت بالكلوم قرح الكلوم
سقم لا أعاد منه وفي العا ئد انس بفي ببرء السقيم
نار بغي سعى الى جنة الاه ن لظاها فاصبحت كالصريم
بابي انت ان تشأنك برداً وسلاماً كنار ابراهيم
للشفيع الثناء والحمد في صو ب الحيا للرياح لا للغيوم
وزعيم بان يذل لي الصعـ ـب مثابي الى الهمام الزعيم
وثناء ارسلته سلوة الظا عن عن شوقه وهو المقيم
وبرداد يغير الدهر ما شا ءَ ويبقى بقاء عهد الكريم
فهو ريحانة الجليس ولا نفـ ـر وفيه مزاج كاس النديم
لم يزل مغضياً على هفوة الجا ني مصيخاً الى اعتذار المليم
ومتى تبدأ النصيحة يولعـ ـك تمام الخصال بالتتميم

هاكها اعزك الله يبسطها الامل ويقبضها الخجل ، لها ذنب التقصير وحرمة الاخلاص ، فهب ذنباً لحرمة واشفع نعمة بنعمة ، لتأتي الاحسان من جهاته وتسلك الفضل من طرقاته .

* * *

محاسن هذه الرسالة ومعايبها

لا ريب ان مكان هذه الرسالة من الادب العربي مكان المشهور المأثور المحفوظ في الصدور المخلد في السطور وذلك لامور :

الاول — انها جراب ادب حاوٍ لجملة نماذج مختلفة من عيون مواد الادب بما ضمنت من اقتباس القرآن والحديث والامثال والحكم والابيات المشهورة وحلّ نظم الكثير منها والاشارة الى ما فيها من وقائع التاريخ الشهيرة التي يجدر بالاديب معرفتها والاستشهاد بها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثاني — حسن ملاءمتها بين هذه الصنوف وجودة رصفها وجمع شتاتها في موضوع واحد مما يعسر على غير الحذاق التوفيق بين متباينه ، ويجعل نمطها غريباً ونسجها وحيداً .

الثالث — حصافة عبارتها وجزالة لفظها في كثير من مواضعها وخاصة ما استقل به كاتبها معنىً وانشاءً .

ولكننا اذا نظرنا اليها بعين الناقد وانعمنا البحث في بلاغتها اي مطابقتها في معانيها ومبانيها لمقتضى الغرض الذي وضعت له ، وهو الاستعطاف ، وجدنا انها تقصر دون بلوغه لجملة امور :

الاول — كثرة ما رددته كاتبها فيها من عبارات الامتنان على مولاه بطول ثنائه عليه وحسن سابقته عنده وعظيم بلائه في إقامة دولته مما يعده الرئيس عادةً تعييراً وتجبيهاً .

الثاني - تهديد مولاه بانه لولا حب الوطن لكان له ارفع مقام في خدمة غيره من الملوك الذين يتسارعون الى الترحيب به ، و يتنافسون في استخدام امثاله . .

الثالث — ان وضعها بهذه الصورة يجعلها غير كفيلة بانجاح الغرض الذي وضعت له (وهو تحريك عاطفة الرحمة والعفو) بانصرف نفس قارئها عن ان يتأثر ببلاغتها و يشغلها بتذكر الحوادث والقصص التي اتت عليها ، واسماء الناس ، ومضرب الامثال . فلا يفرغ القارئ من تعرّف اسم رجل حتى يقع في مضرب مثل ، ولا يخلص من تفهم شاهد حتى يقتحم في اوعر منه ، فينقسم فهمه ، و يتشتت تأثره ، وانما يأتي التأثر من انصباب غمرة من الانخداعات المتكررة ، بتكرر العبارات البليغة المؤثرة ، فتحدث بمجموعها اثراً كلياً في النفس ، فتجيش بالشفقة ، وتهش للعفو . وبمثل ذلك كان الانشاء المبرقش بكثير من أنواع البديع غير مؤثر ببلاغته ، لشغله الذهن عن التأثر ، وصرفه الى تفهم النكت البديعية .

ومن هذه الوجهة نرى ان رسالة ابن زيدون ليست مثالاً يحتذى للانشاء البليغ المؤثر في النفس .

الرابع — وقوع بعض هفوات له ذكرها الصفدي كاحتياج فقارها الى ذكر فقار بعد تتم معناها وتلتئم بها مع مابعدها (وهذه نضرب صفحاً عن ذكرها) وكبعض اخطاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في المعنى والوقائع (وهذه نشير الى بعضها ومن أراد مراجعة الجميع فعليه بشرح الصفدي) .

فمن هذه قوله (وتأولت في بيعة العقبة) وسياق كلامه في هذا الفصل يقتضي ذكر أسماء أناس منكرات يبرأ هو ان يكون مثلهم — ولم ينقل احد من اهل الاثر ان احداً ممن بايع فيها تأولها او نكثها .

ومنها قوله « وتخلفت عن الصلاة في بني قريظة » ولم يعلم ان رسول الله انكر على من تخلف عن صلاة العصر في بني قريظة وصلاها في الطريق بل اقرّ الجميع على عملها وعد ذلك من اجتهاد الصحابة .

ومنها قوله « وزعمت ان بيعة ابي بكر كانت فلتة » مع ان قائل هذه الكلمة عمر بن الخطاب ولم يقلها عن ارادة سوء فلا ينبغي ان يتمثل به في اعمال الجناة .

ومنها قوله « وكتبت الى عمر بن سعد ان جعجع بالحسين » مع ان المكتوب اليه الحر ابن يزيد التميمي لا عمر بن سعد .

وقد اتى الصفدي على عيوب آتيـة من تصحيف او سوء تأويل منه هو ، اعرضنا عنها خوف التطويل .

* * *

رسالته الهزلية

كان الوزير ابو عامر بن عبدوس ينافس ابن زيدون في حب ولادة ، فاتفق ان حدثت نبوة بينهما ، فأرسل ابن عبدوس اليها امرأة من صواحباته تستميلها اليـه ، وتذكرها بفضله وادبه ، فردت ولادة المرأة بالخيبة . وكتب ابن زيدون الى ابن عبدوس عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه و يتهكم ويهجوه و يتوعده .

وفي ظننا ان ابن زيدون كتبها من نفسه تشفياً من ابن عبدوس لا عن رأي ولادة ورضاها عما افحش فيها واقذع .

والرسالة كسابقتهـا في قلة اغراضها وتكرار اساليب فصولها . وذلك انه بدأها بوصف ابن عبدوس باوصاف الحمق والجهلاء منكراً منه ارسال خليلته الى ولادة ، مثنية عليه ومرغبـة فيه ، واصفة له باوصاف اعيان الزمان من العلماء والادباء والاطباء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والفلاسفة والشجعان من فلان وفلان ، وان ولادة طردتها اشنع طردة . ثم اخذ يهجوه باوصاف في الخلق والخلق ، وان ولادة لو ارادت الرجال لكان لها من الاكفاء من قومها واعيان زمانها من يفضله سنًا وشرفاً وجمالاً الخ .

وهذا نص الرسالة

اما بعد أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره ، الاعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ، فان العجب اكذب ، ومعرفة المرء نفسه اصوب ، وانك راسلتني مستهدياً من ضلتي ماصفرت منه ايدي امثالك ، متصدياً من خلتي لما قرعت دونه انوف اشكالك ، مرسلاً خليلتك مرتادة ، مستعملاً عشيقتك قوادة ، كاذباً نفسك انك ستنزل عنها اليّ ، وتخلف بعدها عليّ :

ولست باول ذي همة دعته لما ليس بالنائل

ولا شك انها قلتك اذ لم تضن بك ، وملتك اذ لم تغر عليك ، فانها اعذرت في السفارة لك ، وماقصرت في النيابة عنك ، زاعمة ان المروءة لفظ انت معناه ، والانسانية اسم انت جسمه وهيولاه ، قاطعة انك انفردت بالجمال ، واستأثرت بالكمال ، واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال ، حتى خيلت ان يوسف (عليه السلام) حاسنك فغضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون اصاب بعض ماكنزت ، والنطف عثر على فضل ماركزت ، وكسرى حمل غاشيتك ، وقيصر رعى ماشيتك والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، واردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك والضحاك استدعى مسالمتك ، وجذيمة الابرش تمنى منادمتك ، وشيرين قد نافست بوران فيك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك ، وان مالك بن نويرة انما اردف لك ، وعروة بن جعفر انما رحل اليك ، وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك ، وجساساً انما قتله بانفتك ومهلهلاً انما طلب ثأره بهمتك ، والسموءل انما وفى عن عهدك ، والاحنف انما احتبى في بردتك . وحاتماً انما جاد بوفرك ، ولقي الاضياف ببشرك ، وزيد بن مهلهل انما ركب بفذبك ، والسليك بن السلكة انما عدا على رجليك . وعامر بن مالك انما لاعب الأسنة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بيديك · وقيس بن زهير انما استعان بدهائك · واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك · وسحبان انما تكلم بلسانك · وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك · وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك · والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك · وان احتيال هرم لعلقمة وعامر حتى رضيا كان ذاك عن اشارتك · وجوابه لعمر وقد سأله عن ايهما كان ينفر وقع عن ارادتك · وان الحجاج نقلد ولاية العراق بجدك · وقتيبة فتح ماوراء النهر بسعدك · والمهلب أوهن شوكة الازارقة بيدك · وفرق ذات بينهم بكيدك · وان هرمس اعطى بلينوس مااخذ منك · وافلاطون اورد على ارسطاطاليس ما نقل عنك · وبطليموس سوى الاصطرلاب بتدبيرك · وصور الكرة على تقديرك · وبقراط علم العلل والامراض بلطف حسك · وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك · وكلاهما قلدك في العلاج · وسألك عن المزاج · واستوصفك تركيب الاعضاء واستشارك في الداء والدواء · وانك نهجت لابي معشر طريق القضاء · واظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء · واعطيت النظام اصلاً ادرك به الحقائق · وجعلت للكندي رسماً استخرج به الدقائق · وان صناعة الالحان اختراعك · وتأليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك · وان عبدالحميد بن يحيى باري افلاطك · وسهل بن هارون مدون كلامك · وعمرو بن بحر مستمليك · ومالك بن انس مستفتيك · وانك الذي اقام البراهين · ووضع القوانين · وناظر في الجوهر والعرض · وميز الصحة من المرض · وفك المعمى وفصل بين الاسم والمسمى · وصرف وقسم · وعدل وقوّم · وصنف الاسماء والافعال · وبوب الظرف والحال · وبنى واعرب · ونفى وتعجب · ووصل وقطع · وثنى وجمع · واظهر واضمر واستفهم واخبر · واهمل وقيد · وارسل واسند · وبحث ونظر · وتصفح الاديان · ورجح بين مذهبي مانى وغيلان · واشار بذبح الجعد · وقتل بشار بن برد · وانك لوشئت خرقت العادات · وخالفت المعهودات · فأحلت البحار عذبة · واعدت السلام رطبة · ونقلت غداً فصار امسا · وزدت في العناصر فكانت خمسا · وانك المقول فيه وكل الصيد في جوف الفرا ·

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

والمعنيّ بقول ابي تمام :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

والمراد بقول ابي الطيب :

ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من ابياتها

فكدمت في غير مكدم . واسئسمت ذا ورم . ونفخت في غير ضرم . ولم تجد لريح مهزا . ولا لشفرة محزا . بل رضيت من الغنيمة بالاياب . وتمنيت الرجوع بخفي حنين . لاني قلت : (لقد هان من بالت عليه الثعالب) وانشدت :

على انها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

ونخرت و بسرت . وعبست فكفرت . وابدأت واعدت . وابرقت وارعدت . وهممت ولم افعل وكدت وليتني . ولولا ان للجوار ذمة . وللضيافة حرمة . لكان الجواب في قذال الدمستق . والنعل حاضرة ان عادت العقرب . والعقوبة ممكنة ان اصر المذنب . وهيهات لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك . ملؤها حبيبها . حسن فيها من تود . وكانت انما حلتك بحلاك . ووسمتك بسماك . ولم تعرك شهادة . ولا تكلفت لك زيادة . بل صدقت سن بكرها . فيما ذكرته عنك . ووضعت الهناء مواضع النقب . بما نبته اليك . ولم تكن كاذبة فيما اثنت به عليك . فالمعيدي تسمع به خير من ان تراه . هجين القذال . ارعن السبال . طويل العنق والعلاوة . مفرط الحمق والغباوة . جافي الطبع . سيئ الجابة والسمع . بغيض الهيئة . سخيف الذهاب والجيئة . ظاهر الوسواس . منتن الانفاس . كثير المعايب . مشهور المثالب . كلامك تمتمة . وحديثك غمغمة . وبيانك فهفهة . وضحكك قهقهة . ومشيك هرولة . وغناك مسألة . ودينك زندقة . وعلمك مخرقة .

مساو لو قسمن على الغواني لما أمهرن الا بالطلاق

حتى ان بافلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك . وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا أضيف اليك . وطويس مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك . فجودك عدم . والاغتباط بك ندم . والخيبة منك ظفر . والجنة معك سقر .

كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء . وضعتك لشرفي وفاء . وانى جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى اشكالها . والطير انما تقع على آلافها . وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان . وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان . وقلت الخبيث والطيب لا يستويان . وتمثلت :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

وذكرت انى علق لا يبـاع ممن زاد · وطائر لا يصيده من اراد · وغرض لا يرميه الا من اجاد · ما احسبك الا كنت قد تهيأت للتهنئة · وترشحت للترفيـة · ولولا ان جرح العجماء جبار · للقيت من الكواعب ما لاقى يسار · فمامٌ الا ببعض مابه همت · ولا تعرض الا لايسر ماله تعرضت ·

اين ادعاؤك رواية الاشعار · وتعاطيك حفظ السير والاخبار · اما ثاب اليك قول الشاعر :

بنو دارم اكفاؤهم آل مسمع وتنكح في اكفائها الحبطات

وهلا عشيت ولم تفتر · وما اشك انك تكون وافد البراجم او ترجع بصحيفة المتلمس · او افعل بك مافعله عقيل بن علفة بالجهني · اذ جاءه خاطباً فدهن استه بزيت وادناه من قربة النمل · ومتى كثر تلاقينا · واتصل ترائينا · فيدعوني اليك مادعا ابنـة الخس الى عبدها من طول السواد · وقرب الوساد · وهلا فقدت الاراقم فأنكح في جنب · اوعضلني همام بن مرة فأقول (زوج من عود خير من قعود) · ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لارتفعت عن هذه الحطة · ولارضيت بهذه الخطة · فالنار · ولا العار · والمنية · ولا الدنية · والحرة تجوع ولا تأكل بثديها ·

فكيف وفي ابناء قومي منكح وفتيان هزان الطوال الغرانقة

ما كنت لأخطى المسك الى الرماد · ولا امتطي الثور بعد الجواد · فانما يثيم من لم يجد ماء · ويرعى الهشيم · من عدم الجميم · ويركب الصعب من لا ذلول له · ولعلك انما غرك من علمت صبوتي اليه · وشهدت مساعفتي له · من أقمار العصر · وريحان المصر · الذين هم الكواكب علوًّ هم · والرياض طيب شيم ·

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

حن قدح ليس منها · ماانت وهم · وانى تقع منهم · وهل انت الا واو عمرو فيهم · وكالوشيظة في العظم بينهم · وان كنت انما بلغت قعرتابوتك · وتجافيت عن بعض قوتك · وعطرت اردانك · وجررت هميانك · واختلت في مشيتك · وحذفت فضول لحيتك · واصلحت شاربك · ومططت حاجبك ورققت خط عذارك · واستأنفت عقد ازارك ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رجاء الاكتنان فيهم . وطمعاً في الاعتداد منهم . فظننت عجزاً . واخطأت اسنك الحفرة .

والله لو كساك محرق البردين . وحلتك ماربة بالقرطين . وقلدك عمرو العمصامة . وحملك الحارث على النعامة . ماشككت فيك ولاستبرت اباك . ولا كنت الاذاك . وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب . وجاريتهم في غاية الظرف والادب . الست تأوي الى بيت فعيدته لكاع . اذ كلهم عزب خالي الذراع . واين من انفرد به ممن لااغاب الا على الافل الاخس منه . وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة . والنفس المصروفة الي . واللذة الموقوفة علي . وبين آخر قد نضب غديره . ونزحت بيره . وذهب نشاطه . ولم يبق الا ... وهل يجتمع لي فيك الا الخشف وسوء الكيلة . ويقترن علي بك الا الغدة والموت في بيت سلولية .

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اعناق الرجال

ما كان اخلقك بان تقدر بذرعك . وتربع بذلك على ظلعك . ولاتكن براقش الدالة على اهلها . وعنزالسوء المستثيرة لحتفها . فماأراك الا سقط بك العشاء على سرحان . وبك لابظبي اعفر . اعذرت ان اغنيت شيا . واسمعت لوناديت حيا .

ان العصا قرعت لذي الحلم والشيء تحقره وقد ينمي

وان بادرت بالندامة . ورجعت على نفسك بالملامة . قد اشتريت العافية لك . بالعافية منك . وان قلت جمجمة ولا طحن . ورب صلف تحت الراعدة وانشدت :

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا

فعدت لمانهيت عنه . وراجعت ما استعفيت منه . بعثت من يزعجك الى الخضراء دفعا . ويستخثك نحوها وكزاً وصفعا . فاذا صرت اليها عبث اكاروها بك . وتسلط نواطيرها عليك . فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك . ومن فجلة منتنة يرمى بها تحت ... ذلك بما قدمت يداك . لتذوق وبال امرك . وترى ميزان قدرك .

فمن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

« للبحث بقية » احمد الاسكندري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بين العامي والفصيح

أضع بين ايدي القراء طائفة من الالفاظ الفصيحة افعالاً واسماء لمعانٍ مختلفة بعد ذكر المعنى المقصود وكيف تعبر عنه العامة او بعض العامة في ناحيتي هذه من سورية اي اللاذقية ومايليها . ولم ار من الضروري ترتيب هذه الالفاظ حسب تلاؤمها في المعنى او حسب أوائل حروفها الهجائية فان من ينوي استيعابها يمكنه اختيار احد الترتيبين او ترتيباً آخر يعتمد عليه اذا شاء ذلك ووجده امهد سبيلاً :

« المعنى المقصود وكيف تعبر عنه العامة » « او بعضها »	« اللفظ الفصيح »
شابَ الزرع (اذا نضج وابيضّ)	اقطارَّ اي تهيأ للييبس ثم نصوَّح ثم هاجت الارض هياجًا
كندور . وهو البطيخ الصغير قبل نضجه	حدَجٌ فاذا زاد نموه فهو قعْسَر ثم خَضْف
النصبة . وهي الغرسة الصغيرة قبل ان تثمر	الفسيلة والودِيَّة للنخلة الصغيرة . ويمكن ان تستعار لغيرها من الغراس
الكراويا . المركوش . (من النبات والزهر)	كَرَوِيَّا . مرزنجوش
الضمان . بيع الثمر مقدّمًا	العَرِيَّة . ان تعطي الرجل نخلة فيكون له الثمر دون الاصل . وتنقل اللفظة الى غير النخل من الشجر .
عزَّلَ الجب (نظفه من الوحل والأقذار)	نبث البئر اذا استخرج ترابها . واستنبط البئر اذا استخرج ماءها .
فُشّ الزفرة (اي انزع ماظهر بالغليان على سطح القدر من فضلات المادة المطبوخة)	إطفح القدر . خذ طفاحتها وهي زبدها وماعلا منها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حبس البول	حبس البول كما تقول العامة وصربه
البَلْطة (فأس عظيمة يقطع بها الشجر)	كِرْزين
النزّالة (الخرقة التي تنزل بها القِدْر)	الجُمال
بيت القِدْرة	الجَأْوَة . الخرقة التي توضع فيها القدر اذا أُنزلت .
رجل أهْتَر (قليل العقل)	اللفظة العامية محرفة عن (مُهْتَر) بفتح التاء شذوذاً والاصل كسرها لانها مشتقة من أهتَرَ الرجلُ اذا خف عقله وتكلم بغير الصواب .
جب الناعورة (ويكون ممتازاً باتساعه وغزارة مائه)	العَيْلم البئر الكبيرة وكذلك القَلْزَم . واما بحر القُلْزُم فهو البحر الاحمر سمي باسم بلدة تجاوره وهي قُلْزُم واقعة بين مصر ومكة .
البِرْكة الصغيرة	الجُرْموز الحوض الصغير
البِرْكة الكبيرة	الجابية الحوض الكبير
طريق شوسة (اي ممهدة صالحة لسير المركبات عليها)	اللاحب الطريق الموطّأ
الغمّازة . حفرة تظهر في الخد عند الضحك	الغيتة . والحفرة في وسط الشفة العليا خِتْرِمة وفي وسط الذقن نونة .
الخمّارة .	اللفظة فصيحة وهي ايضاً الحانة والماخور
بازار الدواب (سوقها)	المِشْوار . المكان الذي تُشَوَّر فيه الدواب اي تعرض
الشاكوش (اداة للكسر تشبه القدوم)	الفِهْر الحجر قد يكسر به الجوز وما اشبهه ويسحق به المسك وما شاكله . ويمكن ان يسمى كذلك ماقام مقامه ولو صنع من حديد او معدن آخر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الممسحة	المِنْشفة الحجر الذي تدلك به الاقدام . ويمكن ان يسمى كذلك ما صنع من قماش للغرض نفسه
الهاون والمدقة	المِدُقّ والمرضاض
الحديدة المركوزة لازالة وحل الاقدام	النُّبلة . الحجر لازالة الاقذار
الصابورة (الحجر الذي يثقل به الزورق او المركب)	الهَوْجل وهو ايضاً الانجر
العلامات المنصوبة في الارض	الاِرام واحدها إرَمِيٌّ وإرَم
تعليقة الثياب	مِشْجَب
مدقة الجرن	العُنْبُلة الخشبة التي يدق بها في المهراس
الدرباس	الأَوَز الخشبة يترس بها الباب
زنجير الخبل (لاجل الاستقاء)	الدرَك
تطويلة (مما تشد به الدابة فيمسك به صاحبها ويرسلها ترعى)	طِوَل
مرطبان او قلّة او نحوهما	مِرْكَن
الجاط او الشختور	المِئْكلة من اوعية الطعام تشبع الرجلين والثلاثة
شنئة كتب . بوليجة كتب	قِمطر
شنئة الصانع يضع فيها ادوانه	كِنف
جراب الراعي	صُفْن وهو ايضاً وعاء من جلد يسقى به
الجزدان الكبير للمرأة	القَشْوة وعاء تضع فيه المرأة طيبها وغير ذلك
الوعاء الزجاجي لخردوات التاجر	الجُؤْنة
جاغ (العِدْل الكبير)	غِرارة وهي الجوالق الكبير
نصف جاغ او عِدْل	عِكْم الجوالق الصغير
ترويجة (القليل من الطعام قبل تجهيز اطعمة المائدة)	سُلْفة او أُهْنة او عُجالة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كعك بسمن او كليجة	وليقة · طعام يتخذ من دقيق وسمن ولبن
اقراص بسيوه	ربيكة
نخذ بالفرن	لحم حنيذ · اذا شوي على حجارة محماة
تعصير اللحم المشوي بالخبز	الاجتمال · وهو اذا شويت لحماً فكلما وكفت إهالته اي دسمه استوكفته على خبز فاذا فعلت ذلك بالشحم فهو الاستيداف ·
فطيرة سمن	مُرَوَّلة · لان الترويل هو دلك الخبز بالسمن
العرَق (اوالعرقي وهو الشراب المسكر المعروف)	الطِّلاء · من الخمر ماقد طبخ حتى ذهب ثلثاه ·
مكيَّف (لمن كان في اول سكره)	نَشْوان
الدَّمين (نوع من الريح)	الاعصار · او الريح اللولبة · هي التي تهب من الارض الى السماء كالعمود ·
مطر الصيف	الصيِّف · فاذا هطل في اواسط او اواخر الصيف فهو الحميم ·
رشّة مطر	رشاشَ · طَشٌّ · رَذاذ · غَبْيَة · جَفْشة ·
ماءٌ عَتَبْيٌّ (ما كان قليل العذوبة)	ماءٌ شريب · اذا كان فيه شيءٌ من العذوبة وقد يشربه الناس ·
ماءٌ بهس (هو دون الماء العتبي جودةً)	ماءٌ شروب ·
ثوب منمنم	ثوب مفلَّس : اذا كانت فيه لُحَم كالفلوس ·
ثوب البيت	المِبْذَلة : الثوب يبتذله الرجل في منزله ·
منْتَيان · ثوب يشبه الصُّدْرة	إتْب · او قَرْقَر · او قَرْقَل · وكذلك الصِدار والمِجْوَل والشَوْذَر · كلها قمصان متفاوتة في القِصَر واللطافة وعدم الاكمام تلبسها النساء تحت دروعهن اي قمصانهن وربما اقتصرن عليها في اوقات الخلوة ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بساط ملوّن	زربيّة والجمع زرابيُّ
الناموسية	الكِلّة الستر الرقيق · والقِرْم الستر وكذلك السّجْف
مخدة الفرشة	المِصْدَغة · والمخدّ للرأس
خُدَيدية المقعد	المِنْبَذة · هي التي تُنبَذ اي تطرح للزائر وغيره
مخدة المقعد	النُّمْرُقة · هي التي تصف · والمِسند الوسادة التي يُستند اليها
سكين بطقان (نوع من السكاكين الكبيرة)	مِشْمَل · سيف قصير يشتمل عليه الرجل فيغطيه بثوبه
المكّازة (العصا المعقوف اعلاها)	عكّاز او مِحجَن واطول منها هِراوة · فاذا غلظت فهي خَزَنة ومِرزَبّة (وقيل هي حينئذ من حديد) ·
شيش (عصا مجوفة داخلها نصل)	عَنَزة اذا زادت على الهراوة وفيها زُجٌّ · فاذا طالت شيئًا وفيها سنان رقيق فهي نَيْزَك ومِطْرَد ·
سهم الفرّان	المِسْطَح · خشبة الخباز
قصّ الشعر	تعبير صحيح ويقال ايضًا جَلَمه بالجلمين اي المقص او المقراض ·
حصد الزرع	صحيح وكذلك نجله بالمنجل
قصّ وبر الابل	وكذلك جلّد الابل
التقطيع شُقَفًا (قطعًا)	الشرشرة · والخربقة
نشف درّ الدابة	جدّت الشاة · وشعّت الناقة ·
سَدّة الابريق ونحوه	فِدام وجمعه فُدُم · والسِّداد بكسر السين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

	عامٌّ لكل مايسد به . والسَّداد بفتح يرادف الصواب فيقال سداد الرأي .
القحاطة (مايبقى في اسفل القدر)	كُدادة . وكُدامة
عفارة الكرم (بقيته بعد قطفه)	العُشانة . والقُشانة
فدغَ الرأس	شجَّ الرأس . وفلَعَه
قشَّبت اليد (من تأثير البرد والهواء)	تزلَّعت اليد . وتكلَّعت الرجل .
فقَس البيض	فقصَ البيض . ونقف الفرخ البيضة اذا كسرها ليخرج منها . وعلى هذا القياس يقال نُقِفَ البيض على المجهول اي فقص .
ابرة ملحفة (هي الغليظة قليلاً)	مِنصحة
قبُّوقة او مسلَّة (نوع ابر متناهية غلظاً لخياطة العدول ونحوها)	شَفيزة
الثوب الرقيق كقماش الكاز ونحوه	ثوب شِفٌّ ثم سِربٌّ ارق منه . ثم سابريٌّ ثم لَهْلَه ونهنه .
قص و بر المعزى	حلق المعزى
مشية الشكين واسع	العَنق ان يباعد الفرس بين خطاه ويتوسع في جريه
رَهْوَنة (من سير الخيل)	الهملجة ان يقارب الفرس بين خطاه مع الاسراع . ولعل «رهونة» محرفة عن رهوٍ او هرولة .
مشي الرَّوْف (من سير الخيل)	قريب من الخبَب فهو ان يستقيم الفرس في جريه ويراوح بين يديه و يقبض رجليه . وقريب منه الطَّبْر فهو ان يثب فتلقم رجلاه مجموعتين . والتقريب ان يرفع يديه و يضعهما معاً
اوقعه سطح (على قفاه)	سَلَقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اوقعه بطح (على صدره)	بطحه
حذفه بالعصا ونحوها	حذفه
الشوشرة او الوشوشة	الهمس او الجرس ·
المغمغة (صوت الكلام الذي لا يبين)	الغمغمة · والجمجمة ·
التصهصُن (شدة الاصوات واختلاطها عند الضحك)	العَطْعطة · حكاية صوت الجمّان اذا قالوا عند الغلبة · عيط · عيط
الكَرْكَرة (صوت الآنية اذا استخرج منها الشراب)	القرقرة · والبقبقة للماء ايضاً والعامة تعرفها
طقطقة الاصابع	التفقيع والفرقعة صوت الاصابع عند غمز المفاصل ·
لمّة من الناس (اي جماعة)	لُمّة بضم اللام ·
البقر العمّال (المستعمل لفلاحة الارض)	العوامل · ويغلب استعمالها على الثيران ·
رجل أزعر	رجل زَعِرٌ وعَزَوَّر اي سيء الخلق
رجل مجلّوع · فجمان (شره دنيء متطفل)	رجل مستجيع · شحذان · لَهْسَم
امرأة فاجرة (يريدون بها شرسة حادة اللسان) ·	امرأة سليطة · فاذا زادت سلاطتها فهي سلقانة وعرقانة · واما الفاجرة في الفصيح فمعناها ذات الفجور اي الفسق والزنا ·
غبّ من الماء (اخذ منه الكثير بفيه)	لعله مأخوذ من عبّ الطائر اذا شرب
إحمرّت عين فلان (كناية عن التغيظ ونية الشر) ·	إحرَنْفَشَ · إزْبأرّ ·
لفلان خرطة في وجهه (هيئة غضب وعبوس)	إخرنطم فلان فقولهم خرطة محرف عن اخرنطام
شقرق وجه فلان (محرف عن اشرق وجهه)	إبرنشق للحديث اذا ارتاح اليه واهتزّ له
مخمضة (الفم بالماء ونحوه)	مضمضة · وغرغرة · وبعض العامة تقول رغرغة
تهدي لولدها (تغني له مع هز مهده)	الهدهدة تحريك الام ولدها لكي ينام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هز المكيال	الدغدغة تحريك المكيال وغيره فيزداد اتساعاً لما يجعل فيه
ملقط	المِسْعَر هو الذي تحرك به النار
التكتيف	الاعتضاد اذا جعل كفيه على عضديه . فاذا جعلها على المعصمين فهو الاعتصام .
السفّة	السَّفنة اذا جعل المرء ابهامه في اصول أصابعه من باطن .
التبركُل في المشي (اذا هز المالئي اليتيه ومنكبيه) .	الحَيَكان .
رجل اكشر (شفتاه قاصرتان عن الانضمام)	رجل أجلع
ثقلبش الأُذن (استرخاؤها واقبالها على الوجه)	القَذَف . وهو في الكلاب الغطف والخطل .
بطة الرِّجْل	حَمْأَة
صابونة الرجل (عظمة الركبة)	داغصة
السّيبان (صغار القمل)	الصُّؤاب . بيض القمل
رنخ العجين (اذا استرخى وكثر ماؤه) .	رَخف العجين
النخر الضرس	نَقِدَ الضرس او حَفِر اذا أُنتكل وتكسر .
ريح السَّدد (من امراض البطن)	القولَنج اعتقال الطبيعة لانسداد المعى المسمى قولون بالرومية .
حبُّ الحرارة	الحصَفُ بثور تثور من كثرة العرق .
اكزيما	السفعة في الرأس والوجه قروح ربما كانت قحلة يابسة وربما كانت رطبة يسيل منها صديد .
بلغمة	السَّلَعة زيادة تحدث في الجسد فقد تكون من مقدار حمصة الى بطيخة .
سخونة مع دور (الدور عندهم هو قشعريرة برد الحمى) .	النافض (بتقدير الحمى النافض) . البُرَداء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سخونة متلأثة (اي متلأثة)	حمّى الربع
بنّت الدابة اوغيرها (اكتسبت قليلاً من السمن)	أنقت الدابة فاذا زاد سمنها قيل ملّحت ثم درم عظمها . ثم هي مُكدنة ثم متوعّبة ونهيّة .
نفّض فلان من المال (فرغ منه)	أنفض او أنزف .
الدوُّ (اللبن المنزوع سمنه)	لبنٌ جهير او مخيض . واما الدوُّ فهو الفلاة والقفر .
كتابة بسيطة . غير مشكلة . (خالية من الحركات والضوابط) .	خط غُفْلٌ .
رجل اعزب (غير متزوج)	رجل عَزَبٌ او مُكسَّع .
الكبّابة	الكوب كوز لاعروة له (اي لامقبض) .
المجراية (محرفة عن مجرى)	المَدْجَل مابين البئر والحوض .
ابيض كالح	رجل أمهَق اي ابيض غيرنيّر كلون الجص .
الشحوار . (سواد الدخان اللاصق بالقدور)	سُخام .
الغرّة . (خصلة شعر في مقدم الرأس)	الطرّة . واما الغرّة فهي بياض في الجبهة ويغلب استعمالها على الخيل فيقولون فرس اغرُّ .
شقّله بعينه . (حدّق فيه تحديق احتقار)	شفنه شفناً وشفوناً . وقريب من ذلك قولهم المشهور نظر اليه شزراً . اي بمؤخر عينه .
الخُديدية	الحُسبانة . الوسادة الصغيرة .
الكرّاز . (نوع من الاباريق)	الشَّكْوة القربة الصغيرة .
اللكن	الكِفْت . القِدر الصغيرة .
منديل الوجه	الوصواص . البرقع الصغير .
الكيل للماء ونحوه	التِّبْن القدح الكبير
القبّان	الشاهين الميزان الكبير
الجاط او الشختور	المِقري . الاناء العظيم . وقد مر معنا ان الجاط والشختور عندنا يقار بان ايضاً مايسميه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

	العرب مثكلة فانها تشبع الرجلين والثلاثة .
الضَّرْف (محرَّف ظرف يريدون به جلد جدي او تيس يخاط ويجعل وعاءً للسوائل)	السَّجْل . القربة العظيمة .
الدبليز (نوع من الجرار يسع زنة ٢٠٠ الى ٣٠٠ درهم) .	الغَرْب . الدلو العظيمة .
طنجرة القوزي (القوزي الخروف بالتركية)	الوئيَّة . القدر العظيمة .
الكرافة (اللفظ افرنجي الاصل . والمراد به نوع من الاباريق الزجاجية)	الرفْد . القدح الضخم .
المقانق . والبعض يقولون نقانق او سجُق	الوشيق . اللحم اليابس .
لبنٌ مُوَرْوَر (اي شديد الحموضة) .	لبن طَخْف .

اللاذقية : ادوار مرقص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المحاضرة السابعة عشرة

المعتزلة (١)

— الجاحظية —

انتقل فجأة من الكلام على تحقيق الجاحظ في أبواب العلم الى الكلام على دينه ، ولعل هذا الانتقال لايخلو من معنى من المعاني ، فقد تبين لكم ان للعقل في مذاهبه في التحقيق عملاً كبيراً ، فيكاد لايؤمن الا بما تراه العين ، أو تسمعه الأذن ، او يذوقه الفم ، ويشمه الانف او تلمسه اليد ، هذا من جهة الحكم الظاهر للامور . واما من جهة الحكم الباطن لهذه الامور فانه لايقر الا بما يقبله العقل ولا يرده ، ومن كان هذا مذهبه في آفاق العلم ، اي من كان مذهبه التصحيح والتمييز دون ان يجعل سمعه هدفاً لكل توليد وقلبه قراراً لكل زور فأخلق به ان يسير هذه السيرة في كل عمل من اعماله ، فهل غلب العقل على الجاحظ في أبواب الدين غلبته عليه في أبواب العلم ، هل توثق الجاحظ في دينه توثقه في علمه ، فلم يخرج في شيء من التفسير والتأويل عما يمليه عليه عقله وان يكن في هذه الأمالي شذوذ عن بعض أهل التفسير والتأويل ، هذا ماسنجتهد في إدراك حقائقه في الكلام على دين الجاحظ .

لما قال الجاحظ في مقدمة كتاب الحيوان : ان هذا الكتاب أشرك بين علم الكتاب والسنة وبين وجدانات الحاسة واحساس الغريزة بسط لنا مذهبه في اصل الدين على نحو مابسط لنا مذهبه في العلم لما قال في المقدمة نفسها : وجمع — أي كتاب الحيوان — معرفة السماع وعلم التجربة ، فالجاحظ لايريد ان يخرج في تفسير الآيات وتأويل الأحاديث عن عمل الحواس وعمل العقل ، فهو يريد ان يدرك هذه الآيات وهذه الأحاديث من طريقين : من طريق الحواس ومن طريق العقل ، فهو من المعتزلة .

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الأدب في دمشق من تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يسمي المعتزلة فريق من الافرنجة [١] : المفكرين الاحرار والصحيح ان حرية التفكير من خصائص الاعتزال . فالمعتزلة في نظرهم انما هم فلاسفة يخوضون في مسائل الدين على حسب ما يريدون دون ان يجعلوا لسلطة من السلطات دخلاً في حل هذه المسائل ، فهم رجال العقل في الدين .

واذا أردنا ان نتبسط في بيان معتقدات المعتزلة ونوازن بينها وبين بعض المذاهب الفلسفية في عصرنا الاخير تراخى أمد الكلام ، وربما أدركنا أواخر السنة قبل استيفاء هذا الكلام فأرى إذن ان اكتفي بذكر بعض امور عن المعتزلة حتى يكون لنا رأي مجمل في الاعتزال .

فلننظر في مجلسنا هذا في اصل كلمة الاعتزال ، وفي الاحتجاج للاعتزال ، وفي القواعد التي أجمع عليها المعتزلة ، وفي طوائف المعتزلة ، وفي بعض طبقات المعتزلة ، وفي الطائفة التي تعنينا امرها وهي الجاحظية ، وفي رأي الجاحظ نفسه في المعتزلة .

فلنشرع في ذكر المصدر الذي من صدرت عنه كلمة الاعتزال [٢] :

« دخل واحد على الحسن البصري فقال : ياإمام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون اصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لاتضر مع الايمان بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الايمان ولا يضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء أنا لاأقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لامؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن : اعتزل عنا واصل ، فسمي هو واصحابه معتزلة .

---

(١) مفكرو الاسلام Baron Garra de vaux الجزء الاول ص ٢٩٤

(٢) الملل والنحل للشهرستاني على هامش الملل والأهواء والنحل لابن حزم (الجزء الاول ص ٦٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ووجه تقريره انه قال : ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمي المرء مؤمناً وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح ، فلا يسمي مؤمناً ، وليس هو بكافر مطلق ايضاً لان الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها ، لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من اهل النار خالداً فيها اذ ليس في الآخرة الاّ فريقان : فريق في الجنة وفريق في السعير ، لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد ان كان موافقاً له في القدر وإنكار الصفات » .

فمن هنا يتبين لنا انهم سموا بالمعتزلة منذ اعتزل واصل بن عطاء الحسن ، وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد .

وقال المرتضى في سبب تسميتهم [1] :

« وقيل (أي وسموهم بالمعتزلة) لقول قتادة وكان من أصحاب الحسن : ما نصنع المعتزلة ، فكان يسميهم بهذا الاسم ، روي عن عثمان الطويل قال : لقيت قتادة فقال : ما حبسك عنا ، لعل هؤلاء المعتزلة حبستك عنا ، قلت نعم حديث رويته انت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما هو ، قال : رويت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ستفترق أمتي على فرق خيرها وأبرّها المعتزلة . وقيل : سموا بذلك لرجوع عمرو بن عبيد الى قول واصل في الفاسق وخالف الحسن ، ذلك انه لما خالف واصل أقوال أهل زمانه في الفاسق واعتزلها كلها واقتصر على المجمع عليه وهو تسميته فاسقاً ورجع عمرو بن عبيد الى قوله بعد مناظرة وقعت بينهما سمي وأصحابه معتزلة لاعتزالهم كل الأقوال المحدثة ، والمجبرة تزعم ان المعتزلة لما خالفوا الاجماع في ذلك سموا معتزلة ، قلتُ : لم يخالفوا الاجماع بل عملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول ورفضوا المحدثات المبتدعة » .

ويسمون العدلية لقولهم بعدل الله وحكمته والموحدة لقولهم : لا قديم مع الله [2] .

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية [3] .

اما احتجاج المعتزلة للاعتزال فقد ذكره المرتضى فقال [4] :

---

(١) ذكر المعتزلة ص٤ . (٢) ذكر المعتزلة للمرتضى ص٢ . (٣) الملل والنحل للشهرستاني (على الهامش ص٥٤) . (٤) ذكر المعتزلة ص٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ويحتجون للاعتزال أي لفضله بقوله تعالى : وأعتزلكم ونحوها وهو قوله تعالى : واهجرهم هجراً جميلاً ، وليس الا بالاعتزال عنهم .

واحتجوا من السنة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من اعتزل من الشر سقط في الخير .

واحتجوا ايضاً بالخبر الذي رواه سفيان الثوري عن ابن الزبير عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة ، أبرها واتقاها الفئة المعتزلة وهو تمام الخبر ، ثم قال سفيان لأصحابه تسموا بهذا الاسم لأنكم اعتزلتم الظلمة ، فقالوا : سبقك بها عمرو بن عبيد وأصحابه ، فكان سفيان بعد ذلك يروي واحدة ناجية » .

واليكم القواعد التي أجمع عليها المعتزلة على نحو ما بينها الشهرستاني لما قال[1] :

« فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بان الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة اصلاً فقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة ، هي صفات قديمة ومعان قائمة به لانه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية .

واتفقوا على ان كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كُتب امثاله في المصاحف حكايات عنه ، فانما وجد في المحل عرض فقد فني في الحال .

واتفقوا على ان الارادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته ، لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتي .

واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ، ونفي التشبيه عنه من كل وجه : جهةً ومكاناً وصورةً وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً .

وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط : توحيداً .

واتفقوا على ان العبد قادر ، خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة ، والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلا .

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص٥٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واتفقوا على ان الحكيم لا يفعل الا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، واما الأصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلا .

واتفقوا على ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط : وعداً ووعيداً .

واتفقوا على ان اصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب ، كذلك ورود التكاليف ألطاف للباري تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الانبياء عليهم السلام امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة .

واختلفوا في الامامة والقول فيها نصاً واختياراً .

وأشار المرتضى الى هذه القواعد فأوجز فقال[1] :

« واما ماأجمعوا عليه فقد أجمعت المعتزلة على ان للعالَم مُحدِثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا لمعانٍ ليس بجسمٍ ولا عَرَضٍ ولا جوهرٍ عيناً واحداً لا يدرك بحاسة عدلاً حكيماً لا يفعل القبيح ولا يريده ، كلّف تعريضاً للثواب ، ومكّن من الفعل وأزاح العلة ولا بدّ من الجزاء وعلى وجوب البعثة حيث حسنت ولا بدّ للرسول صلى الله عليه وآله من شرع جديد او احياء مندرس او فائدة لم تحصل من غيره وان آخر الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن معجزة له وان الايمان قول ومعرفة وعمل ، وان المؤمن من اهل الجنة وعلى المنزلة بين المنزلتين وهو ان الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً الا من يقول بالارجاء فانه يخالف في تفسير الايمان وفي المنزلة فيقول الفاسق يسمى مؤمناً ، وأجمعوا على ان فعل العبد غير مخلوق فيه وأجمعوا على تولي الصحابة واختلفوا في عثمان بعد الأحداث التي أحدثها فأكثرهم تولاه وتأول له كما مرّ وكما سيأتي واكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص وأجمعوا على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي تعداد علمائهم مصنفات عدة كالمصابيح لابن يزداد وغيره » .

(١) ذكر المعتزلة ص ٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فالذي يستنتج من ذكر بعض معتقدات المعتزلة ان هذه المعتقدات تتعلق بعلم ما وراء الطبيعة و بالفلسفة نفسها ، فان البحث عن قدرة العبد وعن خلقه لأفعاله خيرها وشرها ، وعن الجوهر والعرض وماشابه هذه الامور من خصائص الفلسفة ومن خصائص علم ماوراء الطبيعة فلانستطيع ان نفهم أقوال الجاحظية وسائر طوائف المعتزلة الا اذا كنا واقفين على العلوم التي تدخل فيها هذه الأقوال .

والمعتزلة طوائف شتى كالواصلية أصحاب ابي حذيفة واصل بن عطاء الغزّال تلميذ الحسن البصري ، وكالهذيلية أصحاب ابي الهذيل حمدان بن ابي الهذيل العلاّف شيخ المعتزلة ، وكالنظامية أصحاب ابراهيم بن سيّار بن هاني النظّام ، وكالجاحظية أصحاب احمد بن حائط ، وكالحدثية أصحاب فضل بن الحدثي ، وكالبشرية أصحاب بشر بن المعتمر ، وكالمعمرية أصحاب معمر بن عباد السلمي ، وكالمزدارية أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بابي موسى الملقب بالمزدار راهب المعتزلة ، وكالثمامية أصحاب ثمامة بن أشرس النميري ، وكالهشامية أصحاب هشام بن عمرو الفوطي ، وكالجاحظية وكالخياطية أصحاب ابي الحسين ابن ابي عمرو الخيّاط أستاذ ابي القاسم ابن محمد الكعبي ، وكالجبائية والبهشمية أصحاب ابي علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي وابنه ابي هاشم عبد السلام .

ولكل طائفة من هذه الطوائف اعتزال يدور على قواعد معينة ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل .

ومن طبقات المعتزلة :

محمد بن الحنفية وعنه اخذ واصل بن عطاء علم الكلام وأبو الاسود الدؤلي وعلقمة والاسود وشُريح والحسن البصري صاحب الرسالات في القضاء والقدر الى عبد الملك والى الحجاج وله مع الحجاج مناظرات وكان لايرد عليه احد كما يرد عليه الحسن وغيلان ابن مسلم الدمشقي الذي كان يعيب هشام بن عبدالملك و يعيب آباءه فلما ولي هشام خرج غيلان وصاحبه الى ارمينية فأرسل هشام في طلبهما فجيء بهما فحبسهما اياماً ثم أخرجهما وقطع ايديهما وأرجلهما فمات صالح وصلّى عليه غيلان ثم اندفع في ذكر بني أمية بالسوء فقيل لهشام : قطعت يدي غيلان ورجليه واطلقت لسانه ، انه قد بكّى الناس ونبههم على ما كانوا عنه غافلين فأرسل اليه من قطع لسانه فمات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنهم واصل بن عطاء الذي كان يلزم صديقه ابا عبد الله الغزّال ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن .

كان واصل ألثغ في الراء قبيح اللثغة فيها فكان يتملص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره وسهولة الفاظه وقد كان صديقاً لبشار مدحه بشار وذكر خطبته التي القى منها الراء فقال :

تكلف القول والاقوام قد حفلوا وحبّروا خطباً ناهيك من خطب
وقال مرتجلاً تغلي بداهته كمرجل القين لما حُفّ باللهب
وجانب الراء لم يشعر به احد قبل التصفح والاغراق في الطلب

فلما قال بشار بالرجعة وتكفير جميع الامة تبرأ منه واصل فهجاه بشار وعابه بطول عنقه فقال :

مالي اشايم غزّالاً له عنق كنقنق الدوّ ان ولّى وان مثُلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالاً كفّروا رجلا

أنفذ واصل بن عطاء أصحابه الى الآفاق وبث دعاته في البلاد ، فبعث عبدالله بن الحارث الى المغرب فأجابه خلق كثير وبعث حفص بن سالم الى خراسان وبعث القاسم الى اليمن وبعث ايوب الى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة وبعث عثمان الطويل الى أرمينية . وكان عثمان أستاذ ابي الهذيل العلاّف .

ومنهم عمرو بن عبيد وكان المنصور العباسي يبالغ في تعظيمه .

ومنهم صالح الدمشقي صاحب غيلان الدمشقي .

ومنهم ابو الهذيل العلاّف : اتاه رجل فقال له : أشكل عليّ أشياء من القرآن فقصدت هذا البلد فلم أجد عند احد ممن سألته شفاءً لما أردته فلما خرجت في هذا الوقت قال لي قائل : ان بغيتك عند هذا الرجل ، فائق الله وأفدني ، فقال ابو الهذيل ، فما ذا أشكل عليك ؟ قال : آيات من القرآن توهمني انها متناقضة وآيات توهمني انها ملحونة ، قال : فماذا أحب اليك ، أجيبك بالجملة او تسألني عن آية آية ؟ قال : بل تجيبني بالجملة ، قال ابو الهذيل : هل تعلم ان محمداً كان من أوسط العرب وغير مطعون عليه في لغته وانه كان عند قومه من أعقل العرب فلم يكن مطعوناً عليه فقال : اللهم نعم ، قال ابو الهذيل : فهل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تعلم ان العرب كانوا اهل جدل ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل اجتهدوا في تكذيبه ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل تعلم انهم عابوا عليه بالمناقضة او باللحن ؟ قال : اللهم لا . قال ابو الهذيل : فندعُ قولهم مع علمهم باللغة ونأخذ بقول رجل من الأوساط ، قال : فأشهد ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ، قد كفاني هذا وانصرف وتفقه في الدين .

وفي ابي الهذيل يقول المأمون : أطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال الغمام على الانام .

ومنهم ابو اسحاق ابراهيم بن سيّار النظام أستاذ الجاحظ ، وقد قال الجاحظ : الاوائل يقولون في كل الف سنة رجل لا نظير له ، فان كان ذلك صحيحاً فهو ابو اسحاق النظام . وقال فيه ايضاً : ما رأيت احداً أعلم بالكلام والفقه من النظّام .

ومنهم بشر بن المعتمر الهلالي رئيس معتزلة بغداد . ومنهم معمر بن عباد السلمي أستاذ بشر .

ومنهم ابو الحسين القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني والصاحب الكافي .

والجوهري صاحب الصحاح وابو بكر الرازي وغيرهم من الذين اتى على ذكرهم المرتضى في كتابه ذكر المعتزلة .

والذي يشغلنا من طوائف المعتزلة ومن طبقاتها في مثل هذا المقام الجاحظية وحدها فالجاحظ وافق اصحابه المعتزلة على امورٍ وانفرد عنهم بمسائل تابعه عليها فريق من المعتزلية فسموا بالجاحظية ، وهذه هي المسائل التي انفرد بها [1] :

« منها : قوله ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شيءٌ من ذلك من أفعال العباد وليس للعباد كسب سوى الارادة ويحصل أفعاله منه طباعاً كما قال ثمامة ونقل عنه ايضاً انه أنكر أصل الارادة وكونها جنساً من الأعراض فقال اذا انتهى السهو عن الفاعل وكان عالماً بما يفعله فهو المريد على التحقيق ، واما الارادة المتعلقة بفعل الخير فهو ميل النفس اليه وزاد على ذلك باثبات الطبائع للأجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة وأثبت لها أفعالاً مخصوصة بها وقال باستحالة عدم الجواهر فالأعراض تتبدل والجوهر لا يجوز ان يفنى .

ومنها قوله في اهل النار انهم لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون الى طبيعة النار وكان يقول النار تجذب أهلها الى نفسها دون أن يدخل احد فيها ومذهبه مذهب الفلاسفة في

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٩٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نفي الصفات وفي إثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المعتزلة .

وحكى الكعبي عنه في نفي الصفات انه قال : يوصف الباري تعالى بانه مريد بمعنى انه لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر وقال : ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله تعالى خالقهم وعارفون بانهم محتاجون الى النبي وهم محجوجون بمعرفتهم ، ثم هم صنفان : عالم بالتوحيد وجاهل به فالجاهل معذور والعالم محجوج ومن انتحل دين الاسلام فان اعتقد ان الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يُرى بالابصار وهو عدل لا يجور ولا يريد المعاصي وبعد الاعتقاد والتبيين أقر بذلك كله ثم جحده وانكره او دان بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقاً وان لم ينظر في شيء من ذلك واعتقد ان الله ربه وان محمداً رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك .

وحكى ابن الراوندي عنه ان القرآن جسد يجوز ان يقلب مرة رجلاً ومرة حيواناً وهذا مثل ما يحكى عن ابي بكر الأصم انه زعم ان القرآن جسم مخلوق وانكر الأعراض اصلاً وانكر صفات الباري تعالى ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة الاّ ان الميل منه ومن اصحابه الى الطبيعيين منهم اكثر منه الى الالهيين » .

وقد تعرض ابن الراوندي للمعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ فردّ عليه الخياط في كتابه : الانتصار ، فقال في دفاعه عن الجاحظ [1] :

ثم قال : اي ابن الروندي ، وقد زعم الجاحظ مع ما حكيت عنه من إحالة فناء الاجسام وعدمها أن الله لا يخلد كافراً في النار ولا يدخله فيها وان النار تُدخل الكافر نفسها وتخلده فيها ، ثم قال : هرباً بزعمه من مسائل الملحدين في التخليد . قال : نقلت لبعض اصحابه وكيف صارت النار هي التي تخلد الكفار في عذابها وتصيّرهم اليها . قال ، فقال : من قبل انهم عملوا اعمالاً فصارت اجسادهم لا تمتنع النار اذا حاذتها في القيامة من اجتذابها اليها بطباعها ثم وصف كلاماً زعم دار بينه وبين هذا الرجل في هذا الباب ، وهذا كذب وزور وهذه كتب الجاحظ في أفعال الطبائع فانظر فيها فان وجدت فيها حرفاً واحداً مما حكاه عنه هذا الماجن فهو صادق والاّ فاعلم انه كاذب بهتات كذب عليه في الحكاية عنه انه يحيل فناء الاجسام ثم أردفه بكذب آخر والله المستعان .

(١) كتاب الانتصار للخيّاط المعتزلي ص ٩١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وللمعتزلة في نظر الجاحظ مقام رفيع فقد أشار اليهم في بعض مواطن ، منها قوله[١] :

« لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الامم ، ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل ، فان لم أقل : ولولا اصحاب ابراهيم وابراهيم لهلكت العوام من المعتزلة فاني أقول انه قد أنهج لهم سبلاً وفتق لهم اموراً واختصر لهم ابواباً ظهرت فيهـا المنفعة وشملتهم بها النعمة .

ومنها قوله بعد كلام له على الجهمية ومن أنكر ايجاد الطبائع وعلى ناس اتبعوا ظاهر الحديث وظاهر الأشعار[٢] :

« وليس هؤلاء ممن يفهم تأويل الأحاديث واي ضرب منها يكون مردوداً ، واي ضرب منها يكون متأولاً ، واي ضرب منها يقال ان ذلك انما هو حكاية عن بعض القبائل ولذلك اقول : لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام واختطفت واسترقت ولولا المعتزله لهلك المتكلمون » .

دمشق : في ٢٥ نيسان سنة ١٩٣١

---

(١) الحيوان (الجزء الرابع ص ٦٩) .

(٢) » » » » ٩٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شعور الجاحظ الديني

—«×»—

ان مذهباً نبنى اصوله على العقل و يستفيض في عصر استفاضت فيه الخرافات وغرائب الزور فيتفرغ رجاله للتنبيه على الأضاليل والتحذير من الاكاذيب ، ان مذهباً هذا شأنه لايخلو في صدر أمره من تعرض المتعرضين ومعاندة المعاندين ، وقد نجد المعترضين في كل زمن من الازمان ثلاث فرق : فرقة من أصحاب الارتجاع قد جمدت أذهانهم وبلدت طبائعهم ، لا يريدون ان يفهموا ان الدنيا أزمان وان لكل زمان أطواراً ، وان الانتقال من طور الى طور من دلائل الحياة ، فرضوا بميسور حالهم دون ان يخطوا في كل فن من فنونهم خطوة ، فهم يصيحون في وجه كل مصلح ، ثم لاتلبث صيحاتهم ان تتلاشى كما يتلاشى الدخان في أجواز الفضاء .

وفرقة قد أقلق الحسد بالهم ونغّص عليهم لذة الحياة ، فهم يؤلمهم ان ينبغ في ظلال ديارهم نابغ او يبرع بارع ، فيخرجون مكنونهم في إطفاء كل نور يتلألأ وتسكين كل حركة تتقلب .

وفرقة قد جهلت قلوبهم وانحطت مداركهم فهم ضعاف يقاوون ، فصار يطاولون على امل ان يكون لهم في نظر الناس شيء من القوة او شيء من الطول .

ان كل مذهب سواء أكان في الدين أم في الأدب أم في الاجتماع أم في السياسة ، طبيعته إصلاح الفاسد او تجديد العتيق لا بدّ له من ان تتحرش به في مقدمة امره فرقة من هذه الفرق الثلاث : فرقة الارتجاع او فرقة الحسد او فرقة الجهل بيد ان المصلح الواثق بنفسه ، المعتمد على عزمه ، المندفع في سبيله بمضي لطيته دون ان يلوي على شيء لانه يعلم ان للباطل جولة ثم يضمحل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والجاحظ لم يخل في حياته وبعد مماته من تعرض المتعرضين ، اماالذين نقدوه نقداً خالصاً فليس لنا كلام عليهم فسواء أذهبوا مذهبه في الاعتزال أو في الفلسفة أو في العلم أم خالفوا هذا المذهب ، انهم احرار ؛ فلكل رأيه ومعتقده ، ولكن بعض المعترضين لم يقفوا عند حد النقد ، فلم يخل الجاحظ في حياته من حسد الحساد ، انكم لتذكرون كيف كانوا يتعقبونه في أواخر ايامه اي في فالجه ، ملتمسين في كلامه لفظاً مضطرباً او تأليفاً سيئاً او نظاماً مقطعاً ، ومغضين على كل محمود من هذا الكلام ، وليس هذا من النقد في شيء وانما اصل الامر في النقد ان ننظر الى جهتي المحاسن والمساوئ فندل على هذه المحاسن حتى يزداد شعورنا بها ، وننبه على هذه المساوئ حتى نصلح أذواقنا فالاقتصار على ذكر المذموم من كلام المؤلف دون التفرغ لبيان المحمود من هذا الكلام لا يخلو من شيء نسميه الحسد ، والجاحظ كان محسوداً في حياته وقد أشار الى هذا الامر في مقدمة كتابه « المحاسن والاضداد » .

والحسد مستحكم في البشر سواء فيه العالم والجاهل ولا يقعن في خلد احد ان العلم يهوّن من خطبه ، قال الاستاذ (ريشه) في تصويره اخلاق العلماء[1] :

« العلماء حسّاد لانهم بشر فهم لا يستطيعون ان ينظروا بعين الرضا الى تكريم يكرّمه زميل من زملائهم او الى لقب يحصل عليه او الى حظوة يحظى بها او الى غير ذلك من رتب تتساقط عليه تساقط الوابل وكلما كان العلم الذي ينصرف اليه هذا الزميل قريباً من علمهم كلما اشتد الحسد ، فالفلكي لا يحزنه الشرف الذي يتناهى الى النباتي ولكنه قد يجد ان الشرف الذي يحصل عليه فلكي آخر قد لا يستحقه » .

قلت : لم يقف المتعرضون للجاحظ عند حد النقد وانما أحبوا ان يثلموا من شعوره الديني فلم تجد طائفة منهم في كلامه الاجهالات والا ضلالات ولقد ذهبوا في ذلك مذهباً أبعد فاستكثروا تسميته انساناً وعدّوا هذه التسمية ذنباً لا يغفر والتمسوا له شبيهاً من أصناف الحيوان فلم يجدوا أصلح من الخنزير .

فقد تعرّض له ابو منصور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق فرد عليه في بعض آرائه في الفلسفة والتوحيد ثم نسبه الى الشعوبية والى السمرقة مما لا نجد حاجة الى ذكره

(١) كتاب العالم (ص ٢١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مثل هذا المقام وانما نشير الى هذه العبارة [١] :

« ولو عرفوا جهالانه في ضلالانه لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم اياه انساناً ، فضلاً عن ان ينسبوا اليه احساناً » .

او الى العبارة الآتية [٢] :

« ومن افتخر بالجاحظ سلمناه اليه ، قول اهل السنة في الجاحظ كقول الشاعر فيه :

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى في كل طرف لاحظ

ان مثل هذا الكلام يمرّ به مرّ الكرام ، فاذا لم يكن الجاحظ انساناً فمن الانسان ، والصحيح ان الجاحظ جاوز أفق البشرية وحلّق في جوّ قد لا يصل اليه كل واحد من الناس .

وكما تعرّض له البغدادي فقد تعرّض له ابن قتيبة فثلمه في دينه فقال [٣] :

« ويعمل كتاباً يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين فاذا صار الى الرد عليهم تجوز في الحجة كأنه انما أراد تنبيههم على مالا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث يريد بذلك استمالة الأحداث وشرّاب النبيذ و يستهزئ من الحديث استهزاء لايخفى على اهل العلم كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان وذكر الحجر الأسود وانه كان ابيض فسوّده المشتركون وقد كان يجب ان يبيضه المسلمون حين اسلموا ويذكر الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة واشياء من احاديث اهل الكتاب في تنادم الديك والغراب ودفن الهدهد أمه في رأسه وتسبيح الضفدع وطوق الحمامة واشباه هذا مما سنذكره فيما بعد ان شاء الله .

وهو مع هذا من اكذب الامة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل » .

والغريب ان ابن قتيبة عاب الجاحظ بقصده للمضاحيك والعبث وهو نفسه من الذين قصدوا لهذه المضاحيك ولهذا العبث حتى قال في مقدمة كتابه عيون الاخبار :

(١) الفرق بين الفرق (ص ١٦٠) .

(٢) » » (ص ١٦٢) .

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٧٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« ولم اخله (اي لم يخل كتابه) من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة معجبة أخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السالكون وعرض اخذ فيها القائلون . ولأروح بذلك من القارئ من كد الجد وانصاب الحق فان الاذن مجاجة وللنفس حمضة » .

وقال في مقام آخر من هذه المقدمة :

« واذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة اوفرج او وصف فاحشة فلايحملنك الخشوع او التخاشع على ان تصعّر خدك وتعرض بوجهك فان اسماء الاعضاء لاتؤثم وانما المأثم في شتم الاعراض وقول الزور والكذب واكل لحوم الناس بالغيب » .

هذا ماقاله ابن قتيبة نفسه وابد قوله باحاديث الرسول وبكلام بعض الخلفاء الراشدين فلِمَ سلك هذا المسلك وعاب الجاحظ بسلوكه اياه واذا كان المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب واكل لحوم الناس بالغيب فالجاحظ قد عرضت عليكم انماطاً من نقده العلمي فأظن انه ما شتم عرض ارسطاطاليس لما تعرض له ، واظن انه كان يتقذر من قول الزور والكذب وقد رأيتم كيف كان يدل على توليد الكذابين وعلى غرائب الزور من دون ان يأكل لحومهم بالغيب .

* * *

وكان ابن ابي دواد يقول في الجاحظ [1] :

« انا اثق بظرفه ولا اثق بدينه » .

وكلام ابن ابي دواد في مثل هذا المقام فيه بعض النظر فان الجاحظ كان منحرفاً عنه ملازماً لعدوه ابن الزيات .

ومثل هذا قول ابن ابي دواد له لما جيء به مقيداً :

« قبحك الله ما علمتك الا كثير تزويق الكلام وقد جعلتَ ثيابك أمام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر » .

وقال ابن ابي الدنيا المحدث [2] :

« حضرت وليمة حضرها الجاحظ وحضرت صلاة الظهر فصلينا وما صلّى الجاحظ

(١) طبقات الادباء للانباري (ص ٢٥٨) .

(٢) تاريخ ابن عساكر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحضرت صلاة العصر فصلينا وما صلى الجاحظ فلما عزمنا على الانصراف قال الجاحظ لصاحب المنزل : اني صليت لمذهب او لسبب أخبرك به ، فقال له : (او قيل له) ما أظن ان لك مذهباً في الصلاة الا تركها » .

تلوا الجاحظ في دينه وجرّدوه من الشعور الديني ، فلنجتهد في مجلسنا هذا في التنقيب عن بعض مواضع من كلام الجاحظ ظهر فيها هذا الشعور الذي سلخوه منه الظهور كله ولقد ظهر في مقام علمي لا متعلق للدين به ، ولو كتمه الجاحظ لما كان عليه مطعن من المطاعن فانه في باب علم لا في باب دين ولكن هذا الشعور أبى الا ان يفيض على جنبات كلامه ، واذا كان المرء مأخوذاً بظاهر عقيدته لا بباطنها فليس في ظاهر عقيدة الجاحظ مغمز من المغامز أما الباطن فما نحاول مكاشفته فلنا ظاهر الجاحظ ولله باطنه .

قال زياد لاهل العراق لما قدم والياً عليهم[1] :

اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضي لم اكشف له قناعاً ولم أهتك له ستراً حتى يبدي صفحته لي !

وليس من المستسهل ان نعرف عقيدة الرجل على حقيقتها فقد يكتم المرء غير ما يظهر وقد يظهر غير ما يكتم .

مرة ينظر الى الحمام كيف يعدّ الذكر والانثى العش لولدهما وكيف ينقلان القصب ويشققان الخوص وينسجانه نسجاً مداخلاً وكيف يتخذان موضعاً للولد ويصطنعانه بقدر جثمان الحمامة وكيف يحفظان البيض ويمنعانه من التدحرج ، وكيف يتعاوران الافحوصة وينفيان عنها طبيعتها الاولى ويحدثان لها طبيعة أخرى على مقدار من البرد والسخانة والرخاوة والصلابة وكيف تضع الانثى البيض في هذه الافحوصة وكيف يتعاقب الذكر والانثى الحضن ويتعاورانه ، وكيف ينصدع البيض عن الفرخ فيعلّمان الفرخ الغذاء ويعينانه عليه وكيف يزقانه باللعاب ثم بالحب والماء على مقدار قوته وكيف يمنعانه بعض المنع بعد أن يطيق اللقط وكيف يفطمانه فطماً مقطوعاً مجذوذاً بعد ان يعلما ان اسبابه قد اجتمعت وكيف ينفيانه اذا بلغ لنفسه منتهى حاجته وسألها الكفاية وكيف ينزعان منهما تلك الرحمة له وينسيان ذلك العطف عليه ، فلا يروحان اليه ولا يغدوان عليه .

(١) العقد الفريد (الجزء الاول ص٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ينظر الى مجامع هذه الحكمة فلا يسعه الا التسبيح لمن أودع المعرفة هذا الذكر والانثى وألقى اليهما الإلهام وبسط عليهما ظل الهناء وجعلها ضياء للمستضيء وراشداً للمسترشد ويقول [١] :

« فسبحان من عرّفهما وألهمها وهنّأهما وجعلها دلالةً لمن استدل ومخبراً صادقاً لمن استخبر ذلكم الله رب العالمين » .

ومرةً ينظر الى أصناف الحيوان فيتدبر كيف تبيض في صدع الصخر وأعالي الهضاب وكيف تبيض في الأجحرة وكيف تلد ولا تبيض ولا ترضع ولا تلقم وكيف تبيض وترضع وكيف تبيض في أوكارها في عرض مقاطع الجبال وكيف تبيض في البيوت في اصول أجذاع السقف وكيف لا تبيض من الجبال الا في الوحشي منها والا في اسحقها وأبعدها عن مواضع اعدائها وكيف تتخذ بيوتها في عرض شطوط الانهار والسواقي وكيف لا تجثم على بيضها وكيف لا تزق ولا تلقم ولا تلحم ولا تحضن ولا ترضع وكيف تزق وتحضن وتحتاج الى ما تغذو به ولدها .

ينظر الى هذا كله فيستدل به على حسن صنع الله واحكامه وتدابيره [٢] .

وحيناً ينظر الى الخنافس كيف يسقط الى المقاييس انها تجلب الرزق وان دنوها دليل على رزق حاضر من صلة اوجائزة اوربح اوهدية او حظ وكيف تدخل في قمص الناس فتنفذ الى سراويلاتهم فلا يقولون لها قليلاً ولا كثيراً وكيف يدفعونها ببعض الرفق . وينظر الى الذباب الكبير الشديد البطش الجهير الصوت كيف كانوا يحتالون في صرفه وطرده اذا اكربهم بكثرة طنينه وزجله وهماهمه ، وكيف صاروا يعتقدون انه مبشر بقدوم غائب وبرء سقيم فصاروا اذا دخل منازلهم وأوسعهم شراً لم يهجه احد منهم .

ينظر الى هذا فيرى في أضعافه قدرة خالق يمدّ في الآجال مرة ويقصّر في الاعمار مرة ويهيء لكل واحدة منهما سبباً فلا يسعه الى الاعتراف بهذه القدرة فيقول :

« واذا أراد الله عز وجل ان ينسيء في اجل شيء من الحيوان هيأ لذلك سبباً كما انه اذا أراد ان يقصّر عمره هيأ له سبباً فتعالى الله علواً كبيراً » .

---

(١) كتاب الحيوان الجزء الثالث ص٤٧ .

(٢) » » » السابع ص١٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد ظهر هذا الشعور في قوله [١] :

« اعلم رحمك الله تعالى ان الله عزّ وجل قد أضاف ست سور من كتابه الى اشكال من أجناس الحيوان الثلاثة منها مما يسمونها باسم البهيمة وهي سورة البقرة وسورة الانعام وسورة الفيل وثلاثة مما يعدون اثنتين منها من الهمج وواحدة من الحشرات فلو كان موقع ذكر هذه البهائم وهذه الحشرات والهمج من الحكمة والتدبير موقعها في قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون ولا يميزون ولا يحصلون الامور ولا يفهمون الأقدار لما أضاف هذه السور العظام الخطيرة الشريفة الجليلة الى هذه الامور المحقرة السخيفة والمغمورة المقهورة ولأمرما وضعها في هذا المكان ونوّه باسمائها هذا التنويه وانا ذاكر من شأن الضفدع من القول مايحضر مثلي وهو قليل في جنب ماعند علمائنا ، والذي عند علمائنا لايحسن في جنب ما عند الله تبارك وتعالى » .

وظهر شعوره الديني في غير هذه المواطن . فاذا أطنب في ذكر العظيم الجثة من الحيوان فلا يطنب في شيء من ذلك لعظم جثته وانما يلتمس ما كان اكثر أعجوبة وأبلغ في الحكمة وأدل عند العامة على حكمة الرب [٢] .

وبلغ من حرصه على الدين انه رأى ان الخطأ في الدين أضر من الخطإ في كل علم من العلوم فقال في كلامه على الترجمة في عصره وعلى شروط هذه الترجمة وعلى خطإ المترجم [٣] :

« والخطأ في الدين أضر من الخطإ في الرياضة والصناعة والفلسفة والكيمياء وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم » .

وهو يجد كتب الله تعالى أنفع وأشرف من كتب الاوائل وما اشتملت عليه من عجيب حكمة ومن سيرة ، فال [٤] :

« واكثر من كتبهم نفعاً وأشرف منها خطراً وأحسن موقعاً كتب الله تعالى التي فيها

(١) كتاب الحيوان (الجزء الخامس ص١٥٢) .
(٢) » » » » » ٤٩
(٣) » » » الاول » ٣٩
(٤) » » » » » ٤٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الهدى والرحمة والاخبار عن كل حكمة وتعريف كل سيئة وحسنة » .

وقد علمتم ان الزندقة كانت مستفيضة في عصر الجاحظ ومرّ بكم ان من الذين اتهموا بهذه الزندقة حمّاد الراوية وقد عرّض به حماد ابن الزبرقان بأبيات ذكرت في محلها منها :

وحبوت من زعم السماء تكونت والارض خالقهـا لهـا لم يمهد

وقد قال الجاحظ بعد هذا الشعر : فليس يقول احد ان الفلك بما فيـه من التدبير تكوّن بنفسه ومن نفسه .

وتعرّض الجاحظ لجماعة من الذين اتهموا بالزندقة واستنكر استفاضتها على نحو ماتبين لكم ذلك في كلامنا على عصره اذ قال :

« وقد ترك هذا الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة والتثبت عند الحكومة جانباً وأعرضوا عنه صفحاً فليس الا : لا أو نعم ، الاّ ان قولهم : لا ، موصول منهم بالغضب وقولهم : نعم ، موصول منهم بالرضى وقد عزل الحق جانباً ومات ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن » .

ان هذا كله يدلنـا دلالة واضحة على ان الجاحظ لم يضعف شعوره الديني فان نسبته الى الجهالات والضلالات وان الشك في دينه واتهامه بالكفر والنفاق كل هذا لا يخلو من تحامل ظاهر وأظن أنهم ماطعنوا فيه هذا المطعن الا لمخالفته اياهم في اصل الدين فان الرجل يستند في تفسير الآيات وتأويل الاحاديث الى عقله .

في ٢ أيار سنة ١٩٣١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حروف التاج

وعلامات الترقيم

« ومواضع استعمالها »

هذا نص المقدمة التي وضعتها وزارة المعارف المصرية للنشرة التي أذيعت على مدارسها بشأن حروف التاج وعلامات الترقيم ومواضع استعمالها لتعميمها بين الطلبة وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الخط العربي أثر من آثار الحضارة الاسلامية ، انتقل في عصر الفتح الاسلامي من بلاد العرب مع اللغة والدين الى الممالك المجاورة : الروم . والفرس . وارض المغرب ودخل مصر وحل فيها محل الخط القبطي ولجماله واختصاره تغلغلت محبته في نفوس الامم حتى ان الممالك التي دخلها وشاء لها القدر ان تسترد لغتها القديمة كالفرس — وجدت من الخط العربي عوناً فاستبقته في حضارتها الجديدة .

ومن أحسن العصور الغابرة التي ازدهت فيها مصر وتألق فيها بهاء الخط العربي عصر المماليك ففيه أنشئت المدارس وأقيمت العمارات . وكان جل اعتماد القوم حينئذ في النقش على الخط العربي . وهذه المساجد المنبثة في نواحي مصر وما حفر وكتب على جدرانها من مختلف أنواع الخط دليل على ما كان له في نفوسهم من الرعاية .

ولما انتقلت الخلافة الى الاتراك اخذوا نصيبهم من العناية بالخط العربي وأتقنوه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والفنوا فيه وخرّجوا فيه أساتذة رفعوا فيه همة الاستانة حتى عدت مركز الرئاسة في الخط العربي ثم دار الدهر دورته وحدث الانقلاب العام في المملكة العثمانية واستعاض الترك الحروف اللاتينية عن الخط العربي . عند ذلك أفل نجمه عندهم واخذت آثاره في العفاء .

تناول الناس نبز بالدهشة حديث هذا الانقلاب ورأوا مع ذلك ان روح هذا العصر تدعو الى التجديد فتولدت فيهم حركة ترمي الى إدخال التعديل في الكتابة العربية واخذ المفكرون يبحثون عن وسيلة للتجديد في الخط فاجتهدوا وكان منهم المسرف وغير المسرف غير انه لم يغب عن إدراكهم انهم اذا أستباحوا لانفسهم إدخال التغيير والتبديل كما فعلت تركيا استهدف الخط العربي الجميل لخطر جسيم وقطعت الصلة بين قديم الادب وحديثه وهذا امر يظهر ضرره في جلاء لابناء الاجيال المستقبلة .

ومن حسن الحظ ان وجه صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الاول التفاته السامي الى الخط العربي فأعاد اليه شبابه ورد اليه مافقد من مكانته . ولا غرو فان جلالته يجلس على عرش أمة هي قبلة الناطقين بالضاد وقدوة الامم العربية .

عزّ على جلالته ان يرى هذا النوع العربق في الفن الجميل يصارعه الفناء وتكاد تندرس اصوله . فأمر بانشاء معاهد لتعليم الخط في مختلف أنواعه . واخذ يرعاها ويشجع طلابها بالجوائز حتى خرّجت رجال فنانين خدموا الامة ورفعوا راية النهضة الحديثة ، ونشروا آثار هذا الفن الجميل حتى أصبحنا بحق نقول :

ان الخط العربي اذا عفا اثره من كل مكان فلن يموت في مصر . واذا شئت فقل : ان مصر ذات الارض الخصبة . والعقول المفكرة . والآثار البديعة . جادة في رفع منزلته وفي تكميله بحيث يماشي الحضارة الجديدة .

فلئن تخلت الاستانة عن مركز الرياسة لهذا الفن الجميل فقد نهضت مصر حاملة لواء الزعامة بفضل المجهود الصادق الذي يجود به صاحب الجلالة الملك .

وقد رأى جلالته عملاً بسنة التجديد ان يزيد من حسناته لرفع مستوى الكتابة والخط . فتعلقت ارادته السامية بامرين خطيرين : (١) ان توضع قواعد للترقيم توحيداً للعمل به . (٢) ان تبتكر صور للحروف الهجائية . غير بعيدة الشبه بالحروف العادية . تؤدي مايؤديه الحروف الكبيرة في اللغات الأجنبية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما لاجدال فيه ان طريقة الكتابة العربية في مجموعها مضطربة وقد أراد كثير من كتابنا معالجة هذا النقص بمحاكاة اللغات الأجنبية فاستعاروا منها علامات الترقيم . وأسرفوا في استعمالها اسرافاً يعمي على القارئ مقصده او قل : انهم ينثرون علامات الترقيم في ثنايا الكتابة لتكون حلية وزخرفاً بدلاً من ان تكون وسيلة لايضاح المعنى وتذليل مصاعب القراءة . إذن فماأحوج الكتابة العربية الى نظام واحد يلم شملها ويرفع ذكرها .

وقد فوض النظر في ذلك الى لجنة الفتها وزارة المعارف وقد فرغت من عملها .

اما ابتكار صور للحروف الهجائية فمن مزاياه توجيه انتفات القارئ الى اوائل الكلام وتمييز الاعلام من غيرها .

ولما أذيعت هذه الرغبة الملكية على الجمهور ملكت مشاعره لصدورها من مليك امتاز بالعطف الكبير على العلوم والآداب والفنون . وامتاز بالسهر على ان يحل مصر في مكانها الارفع . من اجل ذلك استحث (حفظه الله) همم العاملين . باسداء الجوائز للفائزين في مضمار المسابقة .

فانبرت الافكار ودخل المسابقة أناس من القطر المصري ومن غيره من الأقطار الدانية والنائية وتقدموا باقتراحاتهم . وقد وفق بعض المستبقين الى ابتكار صور للحروف لها مميز لم يغير من شكلها تغييراً جوهرياً .

فتولت لجنة تحكيم امر الفصل فيما قدم لها من المقترحات ومنحت الجوائز مستحقيها .

ثم بدا لهذه اللجنة ان تسترشد بهذه الاقتراحات لوضع طريقة لكتابة الحروف الكبيرة مراعية في اختيارها اموراً : قرب شبهها بالحروف المعتادة . وسهولة كتابتها بالقلم المعتاد . وانسجامها اذا اتصلت بغيرها .

وارتأت تسمية هذه الحروف الجديدة حروف التاج . لان صاحب التاج هو صاحب هذه الفكرة . والمتفضل بجوائزها .

ثم آل الامر في شأن هذه الحروف الجديدة الى لجنة تنفيذية بوزارة المعارف العمومية . فكان منها ان عدلت بعض الشيء في صورة هذه الحروف . فجاء تعديلها خاتمة البحث في هذا الموضوع . ورفع الى السدة الملكية فحظي بالرضا والقبول . وصدر قرار الوزارة باذاعته على الجمهور . والسير على مقتضاه في التعليم بالمدارس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حروف التاج

خط النسخ

الحروف مضبوطة بميزان النقط

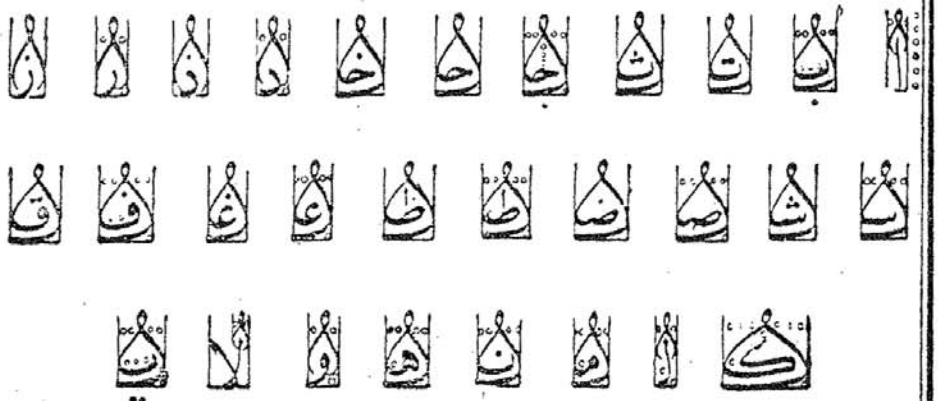

الحروف في شكلها المعتاد

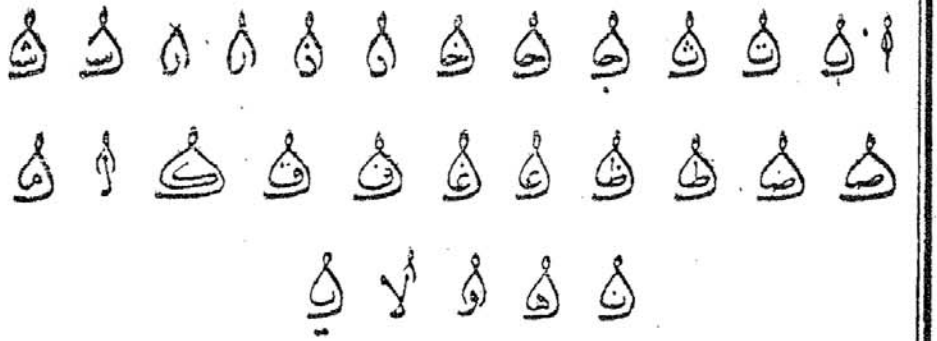

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أمثلة لاستعمال الحروف

حِكَمٌ مأثورة

الإنسانُ صَنِيعَةُ الإحسانِ. كَتَبُ العَثَراتِ يُضعِفُ المَوَدّاتِ. خَيرُ الأمورِ أوسَطُها. دَواءُ الدَّهرِ الصَّبرُ عَلَيهِ. رُبَّ ساعٍ لِقاعِدٍ. كُرْكَ أسيرُكَ. شَهاداتُ الفِعالِ خَيرٌ مِن شَهاداتِ الرِّجالِ. صِدقُ الحَديثِ حِلْيَةٌ. طُولُ التَّجارِبِ زِيادَةٌ فِي العَقلِ. عَقدُ المَحَبَّةِ يَقتَضِي النُّصحَ. فَصاحَةُ اللِّسانِ حِلْيَةُ الإنسانِ. كُلُّ مَمنوعٍ مَتبوعٌ. لِكُلِّ جَديدٍ لَذَّةٌ. نِعمَ المُؤَدِّبُ الدَّهرُ. هَذِّبْ جَلِيسَكَ بِحُسنِ خُلُقِكَ. وَعدُ الكَرِيمِ دَينٌ.

سُئِلَ بُزُرجَمِهرُ: "ما العَقلُ، وما الحِلمُ؟" فَقالَ "كُرْكَ ما لا يَعنِي، والعَفوُ عِندَ المَقدِرَةِ"

منح ايوبية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خط الرقعة

حكم مأثورة

الإنسان صنيعة الإحسان . تتبع الفترات بضعف الورات . خير الأمور أوسطها . دواء الدهر الصبر عليه . رب ساع لقاعد . ترك أسير . شهادات الفعال خير من شهادات الرجال . حسن الحديث حلية . طول التجارب زيادة في العقل . عفة المحبة يقضي النصح . فصاحة اللسان حلية الإنسان . كل ممنوع مشوق . كل جديد لذة . نعم المؤدب الدهر . كذب جليسك بحسن خلقك . وعد الكريم دينه . سئل بزرجمهر : " ما الفضل ، وما الحلم " ؟ فقال : " ترك ما لا يعنى ، والعفو عند المقدرة " .

هذا أبيه

الغلاظة في اللغة

-٣-

(العنق) — العِلَكْدَ ، الغليظ الشديد العنق والظهر من الابل . والأَجْوق ، الغليظ العنق . ومسفوح العنق ، الغليظُه الطويله . والأَقْفد ، الغليظُه . والأَلْوَدْ ، العنق الغليظ ج ألواد . وقد غَلِب الرجلُ — غَلَبًا ، غلظ عنقه فهو أغلب وهي غلباء . وعنق عنقًا ، طال عنقه وغلظ .

(القدم) — وقدم شَثْلَاة ، متراكبة اللحم غليظته . ورجل شِرْداح القدم ، غليظها عريضها . وخَفَّاق القدم ، صدر قدمه عريض . وابكاع القدم ، سمنها وغلظها واشتدادها . وقدم موقوعة ، غليظة شديدة .

(الوجه) — ووجه مُرَغَّف ، غليظ ومثله الوجه المكنتز . والجَهِم والجهْم ، الوجه الغليظ المجتمع السمج . ووجه مكَنْثِر ، غليظ .

(الكف) — والشُرابِث والشَرَنْبَث ، الغليظ الكفين والرجلين والقدمين الخشنهما .

(الشفة) — والشَفَلَّحُ ، الرجل الواسع المنخرين العظيم الشفتين المسترخيهما ويقال شفة شفلَّحة اي غليظة . والهُذْلوغ ، الغليظ الشفة . والأَبْلَم ، الغليظ الشفتين ومثله الحَبَرْكل والخُثارِمُ (للرجل) والجحَنْفل والخُثارِم . والخثرمة ، غِلظ الشفتين . والوَذِرة ، المرأة الغليظة الشفة . وشفة كاثمة باثمة اي ممتلئة غليظة . والأَفجم الذي في شدقه غلظ . وقد عكَب الرجل عكَبًا اذا غلظت شفتاه ولحياه .

(الساق) — وساق بَخَنْداة ، غليظة ممتلئة . وامرأة خِدْلِم ، غليظة الساق مستديرتها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(الاذن) – والقنفاء من آذان المعزى ، الغليظة كأنها نعل مخصوفة . والأقنف الصغير الاذنين الغليظهما .

(شيء) — وناقة ضِناك ، غليظة المؤخر . ورجل مكتَّل ، غليظ الجسم يقال هو رجل مكتَّل الخلق . والمكناء ، الناقة الغليظة الاخلاف . والمِكْنَب والمُكْنِب ، الحافر الذي غلظ من العمل . والتألب ، الغليظ الخلق المجتمع من الناس ومن حمر الوحش وهي تألبة . والجُنادِف ، الغليظ الخلقة القصير الملزز القصير الرقبة . والجَروض ، الغليظ الكبير البطن .

(الاسنان) — والإطلِطُ ، الغليظ الاسنان . والأنيَب ، الغليظ النـاب . والأهضَم ، الغليظ الثنايا .

(الصلب) — والبَكَوَّك ، المكان الصلب الغليظ . والعِرْزِبُ والعِرْزِبُّ ، الصلب الشديد الغليظ . والصلَبُ ، المكان الغليظ الحجر وقد شئِسَ المكان اذا غلظ وصلب واشتد . ومجَن الشيءُ مجوناً ، غلظ وصلب . والخاظي الغليظ الصلبُ .

(الطويل اوالقصير) — والفُملوج ، الغليظ الجسم الطويل[1] . والكُنادِر ، الغليظ القصير مع شدة ويوصف به الغليظ من حمر الوحش . والجِنعيظ ، الاكول القصير الرجلين الغليظ الاشم . والإوِزُّ ، الغليظ اللحيم في غير طول . والمخشاب القصير مع غلظ فيه . والوهنُ ، الرجل القصير الغليظ ومثله الكَسكاس والجِعْظار . والحزابي من الرجال والحمير ، الغليظ الى القصر يقال رجل حزابٍ اذا كان غليظاً قصيراً ومثله الحزابية والحِنزاب . والجَعْبَر ، القصير القـامة الغليظ القصب — والقَعْب الغليظ القصير الجَدْر ، الذي لم يُحكم نحته ومثله الجعبريُّ . والمُجَذَّر ، القصير الغليظ الشثن الاطراف كالجِـذر وهي مجذَّرة . والجعشمُ ، القصير الغليظ مع شدة . ورجل وقوم زَوازِيَة ، قصـار غلاظ . والمِجْرِم ، القصير الشديد الغليظ السمين . والكُلاكِل والكُلَكُلُ ، القصير الغليظ الشديد . والكَأوَلُ والمكوئلُ ، القصير اومع غلظ اومع فحج ويقال اكوأل الرجل اي كان كأوَلاً . والحبَنْطى ، القصير الغليظ . ورجل

(١) ومثله الغِمليج والجَعْشَبُ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ظَرُبٌ ، غليظ قصير ومثله الصمصم . ورجل زوّاز ، غليظ الى القصر . والمكنثب الغليظ الشديد القصير .

(الحبل) — والجُمالة ، الحبل الغليظ سمي به لانه قُوًى كثيرة جمعت فأُجملت جملة وقال مجاهد هي حبال الجسور ومثله الكَرُّ والأُندريُّ .

(الشجر) — والعَضاض ، ماغلظ من الشجر . وشجرة جَأس وشُهد جلس ، غليظ والجلس ايضاً الغليظ من الارض . وقد أعرد الشجر اذا غلظ وكبر . وليّفت الفسيلة ، غلظت وكثر ليفها . وقَشِرَ الشجر — قشَراً ، غلظ قشره . والجَزْن والجَزْل ، الخشب الغلاظ .

(الطريق) — والنِقاب الطريق في الغلظ ومثله الثَجْن والثَجَن . والمثقب ، طريق في حرة وغلظ . والضَلوع ، الطريق من الحرة . وطريق اعروريٌّ ، غليظ . وطريق ظَلِف ، غليظ لايؤدي اثراً ومثله ارض ظَلِفة .

(الصوت) — والأجشّ ، الغليظ الصوت من الانسان ومن الخيل ومن الرعد وغيره وفي الحديث انه سمع تكبير رجل أجشّ الصوت » وفرس أجشّ الصوت ، في صهيله جشش قال ابن دريد : هو مما يحمد في الخيل . الخُشارم ، الصوت الغليظ . والجُشّة والجَشَشُ ، صوت غليظ فيه بحة يخرج من الخياشيم . والجُشْرة ، خشونة في الصدر وغلظ في الصوت وسعال . والغُنّة ، مايعتري الغلام عند بلوغه اذا غلظ صوته . والهدُّ والهدَد الصوت الغليظ . وصوت نافج ، غليظ جاف . والأبجّ ، العود الغليظ الصوت — والبمّ لغلظ صوته — والدينار الأبح في صوته قال الجعدي يصف الدينار :

وأبجّ جندبيٍّ وثاقبةٍ سُبكت كثاقبة من الجمر

وقد شحج الغراب اي غلظ صوته . ونبح الهدهد نباحاً اذا أسنّ فغلظ صوته .

(الفرس) — وفرس جحِد ، غليظ قصير ج جحاد . والجَحْرش ، الفرس الغليظ المجتمع الخلق . والبُؤَب ، الفرس القصير الغليظ اللحم الفسيح الخطو البعيد القدر . وفرس مُجَعْثن الخلق ، غليظ شبه باصل الشجرة في كدنته وغلظه .

(البعير) — والجُلْذيّ ، البعير الشديد الغليظ . والدألك ، الناقة الغليظة المسترخية . والعَفَرْنى ، البعير الغليظ العنق . والعكناء ، الناقة الغليظة الاخلاف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعَنْتريس ، الناقة الغليظة الوثيقة . والمعكاء ، الابل الغلاظ السمان . والوَشْن ، البعير الغليظ يقال بعير وشن . والعِرْباض ، البعير الغليظ ايضاً . وناقة مُلْمة ، مدارة غليظة كثيرة اللحم معتدلة الخلق . والكِنْدأوُ ، الجمل الغليظ .

(الارض) — والجَدَش ، الارض الغليظة ج أجداش . والجَبوب ، الغليظة من الصخر لا من الطين . والجَرَجُ ، الغليظة ذات الحجارة . والجِلْذاء ، الغليظة وكذا الجَلْس والجَنَد والمَنْعَلة والسَّمَوْأل والضُلَضِل والضُلَضِلة والضُلارِض والضُلْضُلَة والجِلْظاء والجَهاد وتوصف به فيقال ارض جهاد والصِحْحاء والصَمْعر والصَمْعَرة والصَمّاء والكَرْشَفَة والكِرْشافة والكَلَدَة والكُلام والقيقاة والقيقاءة والكِدّة (لانها تكد الماشي فيها) والكديد والشَصاصاء والجَرَن والكَرْشمة والزَلَفَة والعَتَب والخُفُّ ، والحَزْن ماغلظ من الارض في ارتفاع .

« للبحث صلة »

(النبك) : سالم خليل رزق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وافكار

—«»—

الترجمان المعرب عن دول
« المشرق والمغرب »

كتاب مازال مخطوطاً مؤلفه ابو القاسم الزياني احد كتاب دولة العلويين في المغرب الأقصى . ومنصب الكتابة في هذه الدولة من اعلا المناصب وربما استغني عن الوزير بالكاتب بل ان الزياني هذا فوق منصبي الكتابة والوزارة كان سفيراً ايضاً فقد أرسله مولاي محمد بن عبدالله سلطان المغرب سنة ١٢٠٠ هـ سفيراً الى الاستانة لدى السلطان عبدالحميد الاول . وكان الزياني من رجال العلم والدين والتقوى ولم يكن من رجال الادارة والسياسة المبتنية على الحيلة والدهاء . ويعوزها حزم وزكاء . ولم يكن في الزياني شيء من ذلك وانما فيه بساطة واخلاص وصدق وأمانة . وكان سلاطين المغرب يضطرونه الى خدمة دولتهم اضطراراً . وقد جرّ ذلك عليه بلاءً ومحناً . فكان يكثر التبرم من اشتغاله بالسياسة ويتمنى على الله ان ينقذه من شرورها . وقد وصفه السلطان العثماني وصفاً صادقاً كما ذكر ذلك الزياني في مخطوطته التي نحن في صدد وصفها فقد قال ما خلاصته :

وجهني السلطان بهدية الى السلطان العثماني فأقمت ثمة مئة يوم وقضيت الغرض ورجعت . فوجه معي السلطان احد خدامه بهدية الى سلطاني وكتب اليه كتاباً مدحني فيه فقال : « وصلنا من مقامك الأسنى عشرون سفيراً وأحسنهم عقلاً ونبلاً وسياسة (؟) وأدباً فلان (يعني الزياني) فانه أدى لنا رسالتك وهديتك بادب وانفصل عنا بادب فمثله من يكون سفيراً بين الملوك فان اقتضى نظرك توجيه سفير من أطرافك فليكن هو فان باطنه وظاهره سواء » . وبهذا المعنى كتب الوزير (العثماني) يوسف باشا كتاباً الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السلطان (المراكشي) فلما قرأ السلطان ذلك سر سروراً عظيماً ولما خرج للشور ؟ أمر بقراءة المكاتيب في الملأ وقال « هكذا نحب أصحابي فجزاك الله خيراً فانني لا أوجه الهدايا للمهانين الا معك » .

اما مخطوطته فقد كنت أبحث عن نسخة منها حتى ظفرت بها عند صديقي السيد حمزة الرفيق في مدينة (وهران) واذا هي في ٥٨٤ صفحة مكتوبة بخط مغربي غير واضح وفيها تحريف يعسر تصحيحه وقد الفها مؤلفها سنة ١٢٢٦ هـ وكتبها كاتبها سنة ١٢٨٦ هـ اي بعد تأليفها بستين سنة .

وقال المؤلف في سبب تأليفها انه كان يوماً في مجلس مولاي سليمان ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالله فجرى ذكر الامم الخالية والدول الماضية . فكلفه مولاي سليمان ان يضع تأليفاً جامعاً للدول والأنساب قبائل المغرب فاعتذر فألح عليه . وفي اثناء ذلك مات السلطان محمد فخلفه (السلطان الجديد اميرالمؤمنين اليزيد) فنكبه هذا السلطان وسجنه وبقي مسجوناً حتى مات السلطان فخرج من السجن وأزمع الرحلة عن بلاد المغرب فمنعه منها السلطان الجديد صديقه مولاي سليمان بن محمد وقلده ولاية (وجدة) فذهب اليها فنهبه الأعراب في الطريق فانقطع في مدينة (تلمسان) وأقام فيه معتزلاً والف هذا الكتاب . ورتبه هكذا :

(المقدمة) تتضمن مايجب على السلطان وله
(الباب الاول) آدم والطوفان
(الثاني) تفرق اولاد نوح
(الثالث) دولة الفرس
(الرابع) ملوك اليمن
(الخامس) الفراعنة
(السادس) بنو اسرائيل
(السابع) البابليون
(الثامن) اليونان
(التاسع) الروم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(العاشر) الاسلام وظهور النبي عليه السلام
(الحادي عشر) بنو أمية وفتح الاندلس
(الثاني عشر) بنو العباس الى ظهور بني عثمان
(الثالث عشر) الفاطميون الى ظهور الايوبيين عليهم
(الرابع عشر) بنو عثمان
(الخامس عشر) الادارسة وملوكهم الى زمن المؤلف

وبعد هذه الأبواب :

(جامعه)
(خاتمة) ضمنها رحلته الى المشرق والاستانة والحجاز
(فصول)

وذكر في الجامعة وصفاً لملك آل عثمان لايقره عليه التاريخ الصحيح : من مثل ان العثمانيين كانت سلطتهم ممتدة الى بلاد فارس وخراسان وجرجان وطبرستان وبخارى وسمرقند وخوارزم الخ الخ ثم ذكر مجملاً من تاريخ آل عثمان بعد ضعفهم وقوة دول الافرنج حواليهم حتى تبدد ذلك الملك الشاسع ولم تبق منه سوى بقيـة كانت سلطة العثمانيين عليها بالاسم ايضاً ولم تكن لهم سلطة فعليـة الا في ماجاور الاستانة من الولايات وأشار الى قيام الوهابيين في جزيرة العرب و (آل رسول) في اليمن حتى غلبهم الزيدية قال : « ولم يزل امر هذه الدولة العثمانية يضعف وهي في مرض من الايام وهم يعالجون مرضهم بالسياسة والتدبير الى ان يتم امر الله في شأنها عند هرمها » وأشار ايضاً الى ان العثمانيين كانوا يجارون رعاياهم فلا يردون لهم طلباً مهما كان ، خشية اغتنام دول اوربا الفرص وهجومها عليهم . وما أنقله هنا من هذا الكتاب هو الذي يستحق النقل وما سواه لافائدة فيه . اللهم الا رحلته الى المشرق فانها على صغرها صورة للعالم الاسلامي منذ مئة وثلاثين سنة . وقد عزمت على نشرها في كتاب على حدة .

(تلمسان) : محمد سعيد الزاهري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

—*—

جزيرة رودس

« تأليف حبيب غزالة بك عضو الجمعية الجغرافية المصرية طبع في مطبعة »
« الاعتماد بمصر سنة ١٩٢٩ م في ٨٧ صفحة »

كتب المؤلف عن هذه الجزيرة وجغرافيتها وتاريخها وآثارها كتابة موجزة لكنها متقنة في تحقيقها وحسن تلخيص أخبارها منذ اول عهدها الى نزول الدولة العثمانية عنها الى دولة ايطاليا في معاهدة لوزان . ومما زاد هذا الكتاب حسناً وتقريب فائدة انه قد أجيد طبعه وورقه وزين برسوم أتقن تصويرها وتمثيلها من ذلك رسم صنم رودس الشهير الذي هو احدى العجائب السبع عند الأقدمين وحصار العثمانيين لرودس ورئيس الفرسان الشيفالية (دي ليل آدم) امام فسطاط السلطان سليمان . ومنظر عام لمدينة رودس في العصور الوسطى وجامع الرئيس مراد وتمثال فينوس . عدا رسوم الخرائط والنقود وغيرها . فالكتاب على صغر حجمه غاية في الفائدة والامتاع لمحب التاريخ . فالشكر لمؤلفه الفاضل .

« المغربي »

اصلاح الوعظ الديني

« تأليف محمد عبد العزيز الخولي أستاذ الشريعة الاسلامية بمدرسة دار العلوم »
« المصرية طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٢٩ م في ٢٥٥ صفحة »

موضوع هذا الكتاب من خيرة الموضوعات التي يلزم تمحيص القول فيها لقوة علاقة بدهماء الامة الاسلامية وشدة حاجتهم الى الاستفادة منها: فان من يسمع الخطب الجمعية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كل جمعة والدروس الوعظية من وقت الى آخر في المساجد ولا سيما شهر رمضان — عرف ان هذه الدروس وتلك الخطب لا تؤدي الى نتيجة حسنة في الدين ولا في الاخلاق بل ان الأمر على العكس تزيد الدهماء تمكناً من الجهل وإمعاناً في الخرافات لهذا وجب الترحيب بهذا الكتاب الجديد الذي ألفه الاستاذ الخولي وقد ضمنه أبحاثاً في الإرشاد عامة وطريقة الإرشاد النبوي وما ينبغي ان تكون عليه الخطب المنبرية والدروس الوعظية وذكر فيه نموذجات عصرية من دروس وخطب مما يناسب روح هذا الوقت و يتفق مع عقول أهله الى غير ذلك من الفوائد والنصائح المتعلقة بهذا الموضوع الجليل فنلفت اليه الانظار . ونشكر المؤلف والطابع على هذه الخدمة الدينية التي قاما بها نحو أمتهما .

« له »

المفكرة الزراعية

« وهي تذكرة لأسس الفنون الزراعية جاءت في ٤٥٠ ص من القطع الصغير »

« تأليف السيد وصفي زكريا »

من العجيب ان طلاب العلم في بلادنا اذا ماانتهوا من تلقي الدروس في المدارس العليا حسبوا انهم بلغوا في العلم سدرة المنتهى فأحرقوا الكتب او القوها الى الخزانة طعاماً للعث شهياً . و يندر ان تجد بينهم أناساً أدركوا ان الدرس يجب ان يكون بعد المدرسة خاصةً وان المدارس مهما كانت درجاتها ليست سوى مفتاح للعلوم او دليل يريهم الطريق التي يجب ان يسلكوها حتى يصلوا الى ينابيع العلوم المتدفقة فيرشفوا من معينها بعض القطرات ثم تنطفئ شعلة حياتهم القصيرة قبل ان يرتووا .

ومن الأفراد القلائل الذين داوموا على الدرس بعد ان تخرجوا في المدارس الزراعية صاحب هذه التذكرة المفيدة حيث يجد القارئ خلاصة في أهم الفنون الزراعية كالزراعة العامة والخاصة والاشجار المثمرة والبقول والدواب الدواجن والطيور الدواجن والنحل ودود الحرير والآلات الزراعية والحشرات وامراض الزروع والجغرافيا الزراعية والموازين والمكاييل والاعمال الزراعية التي تؤتى في كل شهر من شهور السنة الخ ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد أجاد المؤلف من حيث الفن ولم يجد من حيث اللغة . ولو انه عني بلغة كتابه عنايته بمضمون أبحاثه لازدادت فوائده .

مصطفى الشهابي

اسرار المراهقة في الفتى

« تأليف الدكتور شخاشيري »

كتيب وضعه الفاضل الدكتور شخاشيري وضمنه أحاديث دارت بين أب طبيب وابنه المراهق في شؤون دور البلوغ ووظائف أعضاء الرجل التناسلية ومايرافق هذا الدور من تغيرات نفسية وجسمية وما يحدق به من الأخطار الاجتماعية ومايتطلبه من عناية ورعاية صحية وأخلاقية وفي فضائل الزواج الشرعي في سن الرشد ومساوئ الدعارة والعادة السربة وغشيان دور الفحش وما ينشأ عنها من الامراض الوبيلة والآفات العضالة كالزهري مما لاينحصر ضرره في صاحبه بل يتعداه الى بنيه وأسرته وأمته وذلك باسلوب حسن وعبارة سهلة يخامرها قليل من الخطإ الناشئ في الغالب عن السهو من ذلك جعل الهمزة المكسورة فوق الألف كأنسان ، وأشباع وأنماء الخ والصواب وضعها تحتها او تشكيلها . ومنه قوله ص ٤١ س ٩ « اتجها ناحية » والأولى الى ناحية . وقوله ص ٤٣ س ٣ « ولا يبعد ان تصاب الام — ماأصاب غيرها » والصواب ان يصيب الام ماأصاب . او ان تصاب الام بما أصيب به غيرها . وقوله ص ٤٥ س ٦ « وجاءت اولادها مصابين » والصواب باولادها او وجاء اولادها . وفي ص ٤٨ س ١٠ « وما تلك الحجرة الا مكان آخر للفسق والدعارة او مكانان اجتمعا (بالتنوين) فيهما من كل فاكهة زوجان . » فعبارة مكانان اجتمعا غير واضحة . وغير فصيحة . الى غير ذلك من الخطإ الذي لاصلة له بجوهر الموضوع ولايمس هذا الكتاب فائدته الكبرى في إصلاح الأخلاق ومكافحة الامراض الاجتماعية التي تهدد كيان الأسرة والأمة .

اسعد الحكيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسرار المراهقة في الفتاة

« تأليف الدكتور شخاشيري »

رسالة وضعها الدكتور شخاشيري بصورة حوار بين والدة وابنتهـا ثم بين الابنـة ووالدها في موضوع تشريح الجسم البشري والمحيض والخطبـة . وقد استغرق قسم التشريح زهاء نصف الرسالة وجله يتعلق باسماء العظام التي يتألف منهـا الهيكل العظمي مما يجعل هذا البحث جافاً مملاً . لاسيما وهو بعيد عن موضوع الكتاب . ولم يأت في هذا البحث التشريحي ذكر لاعضاء المرأة التناسلية الباطنة التي هي ركن الموضوع .

ثم تتطرق المؤلف الى مواعيد المرأة وكيفية حصولها والتدابير الصحية التي يجب عملها خلالها . وختم الكتاب ببحث خطير في نتائج العلاقات غير المشروعة وعواقبها الوخيمة وفي آداب المعاشرة والسلوك التي يطلب الى المرأة مراعاتهـا ولا سيما مع الخطيب مدة الخطبة ... والرسالة خاصة بالمرأة المسيحية دون المسلمة لان مايتعلق فيها بالمعاشرة والخطبة لايتلاءم مع التقاليد الاسلامية ولأن امور الحيض تتعلمها المرأة المسلمة قبل البلوغ مع دروسها الدينية لانها مرتبطة بمبطلات الصلاة .

اسعد الحكيم

الانتدابات في العراق وسورية

« بقلم السيد محمد جميل بيهم »

هو كتاب يبحث في القطرين العربيين العراق والشام من الوجهة السياسية والعمرانية والاقتصادية ، يستوعب مئة وسبعة وثلاثين صفحة ، وهو مطبوع في مطبعة العرفان بصيدا ومصدّر بمقدمته الى الامير شكيب أرسلان .

اما الأبحاث السياسية والمقارنة بين أساليب الانكليز ومناهج الافرنسيين في ادارة البلاد التي عهدت جمعية الامم الى كل منهما الانتداب عليها وما هي السياسة التي تتوخاها الدول المنتدَبة والنهج الذي يقتضي ان ينهجه سكان البلاد تجاه هذا الانتداب الاوربي عليهم — فهي موضوعات لا شأن لنا بابداء الرأي فيها لخروجها عن دائرة موضوعات المجمع . واما من حيث أبحاثه العمرانية والاقتصادية في هذين القطرين العربيين فلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تخرج عن حد التبسط في شيء من التاريخ القديم ونزر من التاريخ الحديث في عهد الدولة العثمانية ، وفي شرح الطرق والمواصلات ومظاهر الحياة والزراعة والتجارة وتعريف النهضة العلمية في الشباب ونهضة المرأة الى غير ذلك من التجديدات التي أدخلها التمدن العصري على جميع البلاد الشرقية ومن جملتها — بل من اقلها اقتباساً بالنسبة الى مصر والهند — العراق والشام . وان كل بحث من هذه الأبحاث يدور ويتحول في هذا الكتاب حتى ينصب في البركة التي يغرف منها المؤلف مادة واحدة وهي الطموح الى الاستقلال .

مثل هذه الموضوعات يتعذر كتابتها بلغة لا تكون بسيطة على ان لغة هذا الكتاب وان كانت بسيطة الا انها معربة وسلسة وخالية من التراكيب الركيكة ومن الاوضاع التي عليها مسحة العجمة مما جرت عادة محرري الصحف باستعماله ، واذا مااضطر المؤلف الى استعمال كلمة انكليزية او افرنسية درجت الالسن عليها وضع معربها بجانبها بين قوسين . وكثيراً مااستشهد بابيات من الشعر لدعم الحجة التي يُدلي بها .

عبد الله رعد

حياة بوذة

« والمذهب البوذي »

السيدة ماري غالو واضعة هذا الكتاب باللغة الافرنسية قضت ردحاً من حياتها متنقلة في الهند والصين منقبة عن الديانة البوذية وعاداتها وكتبها . ويظهر انها كتبت في هذه الديانة العريقة في القدم كتباً متعددة منها هذا الذي نحن بصدده وهو يأتي في مئتين وعشرين صفحة وبين صفحاته ثمانون رسماً تمثل المعبود بوذة بهيئات مختلفة ومعابد وكنايات بوذية الى غير ذلك من النقوش القديمة الهندية والصينية .

لغة هذا الكتاب بسيطة ويستحيل على مؤلفته وعلى اي كان من المؤلفين ان يكتب في موضوع غريب كهذا محشو الفاظاً أعجمية بلغة غير اللغة البسيطة . الا ان تبويبه يشهد للمؤلفة بطول الاناة والصبر وكثرة المطالعة . اما مطالعته فلا تهم الا المولعين بالقراآت والمطالعات عن الغرائب .

عبد الله رعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المخطوطات

التي اقتناها المجمع العلمي في هذه السنة

(١) كتاب الفروسية والبيطرة في علامات الخيل تصنيف ابي حزام بن يعقوب الحنبلي اوله (الحمد لله ولي الحمد . اهله ومستخلصه لنفسه . أحمده حمد من خضع لعظمته وخشع لوحدانيته الخ . وهو جزآن في نحو ٢٥٠ صفحة بالقطع المتوسط . وقد كتبه (الفقير حمزة) سنة ست بعد الالف . وفي الكتاب صورتا فرسين أحداهما باللون الاحمر والأخرى باللون الأسود . وقد كتب بجانب أعضاء كل فرس أسماؤها في اللغة العربية ولكن الصورة الثانية مشوهة وغير كاملة التخطيط .

(٢) « كتاب تواريخ ملوك الروم من تملك قسطنطين الكبير الى تملك قسطنطين الاخير وهو باقي من دون اعراب على استخراجه الاصلي من اليوناني الى العربي » . هكذا كتب على ظهر الكتاب . وقوله وهو باقي من دون اعراب الخ كأنه اعتذار عن ركاكة ترجمته . واوله هكذا « بسم الله الموحد بالذات . والمثلث بالصفات) . ولما بلغ المؤلف الى قسطنطين الاخير الذي انتهت به ملوك الروم في القسطنطينية استأنف الكلام على ملوك الاتراك العثمانيين فذكر من أحوالهم مع ملوك الروم ثم فتح القسطنطينية . وذكر سلاطينها واحداً أثر واحد حتى انتهى بقوله « وتملك السلطان مراد ابن السلطان احمد في سنة ١٦٢٤ م هذا كان رجلاً عادلاً شجاعاً شهماً وكان يحب جنس المسيحيين كثيراً وكان عالي الهمة في الحروب » اه . والكتاب مجلد كبير القطع متين الورق واضح الخط مشرق الحرف في نحو ٣٨٠ صفحة وجلده أسود رهباني متين .

ثم قال كاتب النسخة « نسأل الكريم النجاة من كيد الاكليروس وجملة الرهبان الغير حافظي الزمام الراغبين الفخفخة وكبر المقام » وهكذا كتب عظة مختصرة في ضرر الكبر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وختمها بقوله « فإياك والكبرياء مع شرب الخمر فانهما خراب المسكونة كما تراه محرراً اذا تلوت هذا التاريخ بكل ضبط » .

ثم قال « علقه بيده الفانية العبد ..... صفرونيوس سماحا الكاهن في الرهبان القاطن يومئذ بدير القديس ماريوحنا الملقب بالشويرفي تاريخ ١٦٦٥ مسيحية » .

ولا نعلم ان كان صفرونيوس هذا هو كاتب الاصل اليوناني او مترجمه الى العربية . اما كاتب النسخة فهو مجهول ويظهر من أسلوب الخط انه كتبها منذ عهد قريب لايتجاوز نصف قرن . وربما كتبنا مقالاً خاصاً نضمنه خلاصات مما قاله ذلك المؤرخ اليوناني في ملوك القسطنطينية العثمانيين .

(٣) « نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب » لشهاب الدين ابي العباس احمد بن عبدالله القلقشندي صاحب كتاب (صبح الاعشى) والنسخة حسنة الخط لكنها ليست قديمة وفي أوراقها الاخيرة بعض تشويه . ولم يعلم كاتبها والتاريخ التي كتبت فيه . وانما وجد على غلافها اسماء الذين ملكوها وأشهرهم محمد بن ابراهيم الدكدكجي الدمشقي الصوفي الاديب المشهور المتوفى سنة ١١٣١ هـ وترجمته في سلك الدرر (جزء ٤ ص ٢٥) .

(٤) « مجموع لطيف مشتمل على أنواع لطائف منتخبة من أماكنها عن أهلها وسميته تحفة المتحابين وتأليف المتباعدين ومن الله أستمد التوفيق والعون على تلفيقه لا من غيره فشرعت في ذلك نهار السبت ١٧ شعبان سنة ١٠٧٤ هـ » . هذا ما هو موجود على ظهر المجموعة وهي حسنة الخط جداً لكنها متآكلة الأطراف مفككة الأوراق غير موثوق بتمامها . وهي كسائر مجموعات علمائنا الأقدمين مما يسميه أهل هذا العصر (مذكرات أو نوطات) فمن قصيدة الى فائدة الى حكمة الى مواليا الى دوبيت الى وصفة طبية لتقوية الباه الخ الخ . وهذا شأن مجموعتنا هذه . « المغربي »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المجلد الحادي عشر الجزء ١١ و١٢

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني — كانون الاول

١٩٣١

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً / وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها

« ٣٠٠ « الخامسة الى العاشرة « «

في الخارج ٦٠٠ « الاولى الى الرابعة « «

« ٣٥٠ « الخامسة الى العاشرة « «

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net